وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور الطاهر مولاي سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

وحضارة المـ مي الموسومة

اية على العصر الوسيط

460 – 628 هـ /1067–1207م

من إعداد الطالبة:
لعموري فوزية

إشراف الأستاذ:
د. عبد الكريم شباب

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ: د. بوحسون عبدالقادر رئيسا
الأستاذ: عبد الكريم شباب مشرفا
الأستاذ: د. جبران لعرج مناقشا

الموسم الجامعي
1438/1437هـ -2017/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من جرع الكأس فارغا ليستقيني قطرة حب

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا خطوة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير (والدي العزيز)

إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى القلب الناصع بالبياض (والدتي الحبيبة)

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة

إلى رياحين حياتي (إخواني: بومدين- لحبيب- محمد)

وأخواتي: (مخطارية- كريمة)

إلى من جعلهم الله إخوتي بالله ومن أحببتهم بالله طلاب قسم: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

الشكر والعرفان

لابد ولنا نحن نخطوا خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية

من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة

مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد وقبل أن نمضي تقدم أسمي آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة

إلى الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل

وأخص بالتقدير والشكر إلى الأستاذ الدكتور المشرف شباب عبد الكريم

الذي علمني التفاؤل وقدم إلي العون ومد لنا يد المساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث

إلى الذين كانوا عونا لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا

إلى من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات ربما دون أن يشعروا بدورهم بذلك فلهم منا كل الشكر وأخص منهم الأستاذ: جبران لعرج

كما أشكر كل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد وأخص بالذكر الزميل أو بالأحرى كان بمثابة أخ لي: طالبي جمال

قائمة المختصرات

تح: تحقيق

تع: تعليق

ص–ص: صفحتان فأكثر

تر: ترجمة

ط: طبعة

ج: جزء

دت: دون تاريخ

دب: دون بلد

دط: دون طبعة

مج: مجلد

عرف العصر الوسيط ظهور العديد من الحواضر وعلى رأسها بجاية حيث اكتسبت هذه الأخيرة مكانة مرموقة وخاصة أنها كانت تتمتع بموقع جغرافي ممتاز مما اهلها لتتبوأ منزلة رفيعة بين الحواضر التي كانت سائدة بالمغرب الإسلامي ونظرا لكل هذه الامتيازات التي كانت تحظى بها بجاية جعل منها لأن تكون رائدة على كافة الأصعدة المختلفة خاصة بعدما أصبحت عاصمة للحماديين الثانية وعرفت بلقب الناصرية حيث تميزت في عهد هذه الدولة بشهرة واسعة في المجال الاقتصادي إذ كان يعتبر هذا الأخير القلب النابض لشرايينها فبواسطته استطاعت الدولة الحمادية أن تبلغ ذروتها وذلك بعد اضمحلال القلعة العاصمة الأولى لهم وكذلك بفضل هذا المجال الحيوي تمكن من أن ترد اعتبارها ما بين الحواضر المجاورة لها أو حتى البعيدة عنها.

وفي نفس الامر عرفت بجاية تطور كبير فيما تعلق بالناحية الاقتصادية على عهد كل من الدولة الموحدية وحتى الحفصية حيث في ظل هتين الدولتين تمتعت بأرقى حللها واستطاعت بالرغم من ظروف انتقالها من العهد الحمادي إلى العهد الموحدي، والحفصي إلا أنها احتلت مكانة معتبرة جعل منها عاصمة اقتصادية بامتياز، والذي يمثل هذا الأخير الذي نحت بصدد دراسة الأهمية الاقتصادية لبجاية على العصر الوسيط من **460-628هـ/1067-1207م**.

وتتمثل اهمية هذا الموضوع بأنه يطلعنا على مرحلة هامة من تاريخ المغرب الإسلامي، وخاصة فيما يتعلق الأمر بمدينة بجاية وما يهم منها في المجال الاقتصادي بإضافة إلى أنه يطلعنا على أهم المحطات التي تتعلق ببجاية على العصر الوسيط.

ومن خلال هذه الدراسة أيضا استطعنا إلمام أهم المعلومات التي بصددها تمكنا من التعرف على أهمية هذا الموضوع، ومعرفته، ودراسته، والوقوف على أن أهم مميزاته وخاصة أنه بفضل هذه الدراسة أدركنا إلى حد كبير أن بجاية كانت تعتبر من بين اهم الحواضر التي شهدت فترات زمنية مختلفة من تاريخها العريق.

وبالتالي الإشكالية التي تبقى مطروحة من خلال دراسة الأهمية الاقتصادية لبجاية والتي تتمثل في كل من الفلاحة، الصناعة، والحرف المالية والسكة وكذا الأهمية التجارية والذين ساهموا بشكل فعال في تغذية وحتى تنمية البلدان المجاورة لها ببلاد المغرب الإسلامي أو حتى على الصعيد الخارجي من العاصمة بجاية وعلى هذا الأساس ماهي أبرز العوامل التي ساعدتهم على الارتقاء بفلاحتهم؟ وفيما تتمثل المجهودات التي كان الحكام يقدمونها في سبيل تنمية هذه الحصة من المجال الاقتصادي؟ وما هي أنواع الصناعات التي كانت تزخر بها هذه المدينة؟ إلى جانب ذلك ما هي السكة التي كانت تتعامل بها؟ وكيف كانت العلاقات التجارية مع بجاية؟

وللإجابة عن مختلف هذه الأسئلة كان لابد لنا من وضع خطة تتكون من مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين يحتوي كل فصل على مباحث.

ولهذا ارتقينا للفصل التمهيدي للتعرف على أهمية الموقع الجغرافي وكذلك تحدثنا عن نشأة بجاية مع مختلف الدول التي حكمتها.

وقد تناولنا في الفصل الأول بالتحدث عن أهمية الفلاحة والصناعة والحرف والمالية والسكة حيث تركز البحث في ثلاثة مباحث، المبحث الأول خصصناه عن الفلاحة أما المبحث الثاني شمل الصناعة والحرف والمبحث الثالث تضمن المالية والسكة. والفصل الثاني خصصناه لدراسة الأهمية التجارية لبجاية حيث تركز في مبحثين فالمبحث الأول تكلم عن عوامل ازدهار النشاط التجاري وأهم الطرق التجارية والمبحث الثاني طرحنا فيه عن العلاقات التجارية التي كانت مبرمة بين بجاية ومختلف الدول المجاورة لها.

وختمنا بحثنا هذا بخاتمة استنبطنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم دعمنا هذه الدراسة بعدد من الملاحق في شكل خريطة وصور لزيادة التوضيح.

أما بالنسبة للمنهج المتبع عليه في هذا البحث كان منهج تاريخي تحليلي، ولا ننفي وجود بعض العراقيل أو بالأحرى بعض الصعوبات التي تقف كحاجز أمم أي باحث في كتابة تاريخ المغرب الإسلامي ومن بينها صعوبة تحديد موقع بجاية نظرا لاتساع الرقعة الجغرافية وكذلك وجدنا أن معظم المؤرخين وأصحاب كتب الرحلات الجغرافية نجد أهم كانوا يتحدثون عن نفس المعلومات التي تنص الجانب الاقتصادي وكذلك بعض المصادر أهملت هذا المجال واهتموا بالكتابة عن مختلف المجالات الأخرى.

دون أن ننسى عدم تمكننا من الاطلاع على الكم الهائل على المجال الاقتصادي وخاصة أن مدينة بجاية كانت قد تعاقبت عليها العديد من دول المغرب الإسلامي.

وإلى جانب ذلك عدم إلمامنا الكم الكافي من الكتب نظرا لنقصها في مكتبة الجامعة وعلى هذا اضطر بنا للتنقل بين مكتبات الجامعات بالولايات المجاورة.

لكن بالرغم من ذلك إلا أنه لم تثن من رغبتنا بمواصلة هذا البحث الأكاديمي.

ولقد تناولنا في بحثنا هذا كل مجموعة المصادر والمراجع المختلفة والتي تتعلق بموضوعنا وأبرزها: "ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لصاحبه عبد الرحمن ابن خلدون (**ت 808هـ/1406م**) اختص الجزء الأول من هذا الكتاب بإبراز مجموعة من المفاهيم الخاصة بكل من الفلاحة، الصناعة، والحرف وحتى التجارة.

ومن الكتب الجغرافية كتاب "صورة الأرض" لأبي القاسم النصيبي المشهور بابن حوقل (**ت 368هـ/987م**) حيث استفدنا منه بشكل كبير وخاصة أنه يحتوي على معلومات قيمة تخص الجانب الاقتصادي.

"الرحلة المغربية" لصاحبها محمد ابن محمد ابن علي ابن أحمد العبدي المعروف بالحيحي (**ت 1300 نحو 700هـ**) حيث تضمن هذا الكتاب الوصف الخارجي لبجاية.

"كتاب الجغرافيا" لنور الدين أبو الحسن على ابن موسى العنسي المعروف بابن سعيد المغربي (**ت 685هـ/1286م**) حيث يعد مصدرا مهما ساعدنا بشكل واسع عن تحديد موقع مدينة بجاية إضافة إلى كتاب "بسط الأرض في الطول والعرض" هو كذلك خصنا بمجموعة من المعلومات عن الموقع الجغرافي.

"معجم البلدان" لياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (**ت 626هـ/1229م**) اهتم هذا الكتاب بكل أجزائه بمساعدتنا للتعرف على مختلف المدن أو حتى المصطلحات الغامضة.

"المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لأبو عبد الله ابن محمد الإدريسي (**ت 560هـ/1165م**) مكننا هذا الكتاب بالتعرف أكثر على مختلف المحاصيل الفلاحية التي كانت سائدة ببجاية.

ومن بين المراجع المعتمد عليها في هذا البحث "قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (**6هـ-9هـ/12م-15م**) لمفتاح خلفات درس هذا الكتاب عن القبيلة التي كانت تنتمي إليها بجاية وكذلك من خلاله استطعنا إلمام مجموعة من المصادر التي تناولت موضوع هذا البحث.

"دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري" لمؤلفه عبد الحليم عويس أفادنا هذا الكتاب بالتطلع على مختلف الأنشطة الاقتصادية سواء تعلق الأمر بالفلاحة أم الصناعة أو التجارة.

"دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية" لصاحبه إسماعيل العربي هو الآخر استعطنا من خلاله التعرف على اهم الصناعات والحرف.

كما حزنا على مجموعة من الرسائل الجامعية أهمها:

أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط لـ "محمد الشريف سيدي موسى" موسومة ب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (**6هـ-10هـ/12م-16م**) تعتبر دراسة نموذجية استطعنا من خلالها أن نستخرج أهم المحطات المتعلقة لهذا البحث وأفادتنا بشكل خاص فيما يتعلق الأمر بالمجال الفلاحي المتعلق بتلك الفترة المدروسة آن ذاك.

أولا: أهمية الموقع الجغرافي

بجاية مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب[1] وبالإضافة إلى أنها مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط[2] واقعة في أوائل الإقليم الرابع من الاقاليم السبعة حيث الطول 22° والعرض 34° و55 دقيقة[3] ومتوسط درجة الحرارة فيها 17 درجة[4] وكذلك لها نهر في نهاية من الحسن على شاطئيه البساتين، والمنتزهات حيث ينصب إلى البحر بشرقيها ومنبعه من جهة صفراء بصحراء الجنوب[5] ويقع جون بجاية الذي يرتسم بتقوس شبه اهليجي عرضه نحو 28 ميلا وعمقه في المتوسط ثمانية أميال في منتصف امتداد شواطئ الجزائر ويتصل هذا الجون الذي يشكل ما يشبه مسرحا ضخما وبحيرة مباشرة بسهل الرمال الناعمة، ويمتد في أسفل المدينة العتيدة في الاتجاه الغربي نحو ميلين وفي هذا السهل ينصب وادي بجاية وادي الساحل الذي كانت السفن تمخره في العصر الحمادي وتصعد فيه من البحر مثقلة بالبضائع حتى مدينة بجاية ويبتدئ تقوس هذا الجون شرقا عند رأس العوانة (كافالوا) وينتهي غربا عند الذراع الذي ينحدر من جبل أمسيون (جبل جورايا حاليا)[6] ويمر بالمكان المعروف باسم ملعب الذئب ثم بالتلال التي يطلق عليها البجائيون اسم سبع جبلات ثم ينغمس في البحر تاركا فوق السطح ثلاثة رؤوس هي رأس بوحاي في الوسط ورأس بواك في الجنوب والرأس المثقوب في الشمال وتعلو هذا الرأس كتلة صخرية تحتها مغارة مرتفعة وعميقة حفرتها الأمواج التي تتدفق إليها في غير انقطاع منذ أحقاب طويلة ومن وجود هذه المغارة التي تخترق الكتلة الصخرية من جانبين أخذ الرأس اسمه المثقوب وتمتد المشارف الشمالية للجبل من الرأس المثقوب إلى أعماق

1-ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، دط، 1397هـ-1977م، ص339.

2- أبو العباس الغبريني، الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية 644هـ/714هـ، تح وتع عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م، ص07

3- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح، اسماعيل العربي، منشورات المكتب البخاري الطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970م، ص142.

4- اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1980م، ص186.

5- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص142.

6- جبل جورايا إسم جورايا مشتق من كلمة جورا GAURA الوندالية وتعني الجبل، ينظر: أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2007م، ص108.

الجون وفيما بين ذلك تلول ومنخفضات شديدة الانحدار ولكنها في جملتها معتدلة الارتفاع[1]وبين رأس بواك والرأس المثقوب يعترض مضيق يسمى بوادي القرود تغطيه أشجار الزيتون والخروب وهو من أجمل ما تقع عليه العين في هذه المنطقة بإضافة إلى الذراع الذي ينحدر من جبل جورايا ويشرف جنوبا على الجون بينما يمتد البحر في شماله على مد البصر، وعلى يمين المدينة ترتفع قمم الجبال الشاهقة، وتأتي بعد ذلك محاذية للشاطئ[2] جبال بوعنداس[3] وضروس جبال بني تيزي الصخرية وأدرار أملال (الجبل الأبيض) وتيزي أوزرزور المتفرعة عن سلسلة جبال البابور وكان جبل جورايا يشتهر بعيونه وبساتينه الجميلة وجبل أمسيون سامي العلو صعب المرتقى[4] وفي السهل الذي يمتد يمتد على ضفة النهر كانت تنتشر رياض بجاية وبساتينها التي يتنزه فيها السكان في عهد بني حماد[5] وهذه المنطقة ضيقة لأن مساحتها لا تزيد عن فرسخين ستة أميال وهذه السهول مشوقة نزيهة مطلة على البحر وتحيط بها جبال دورها نحو عشرة أميال وتسقيها عيون وكذلك لبجاية سور يحيط بها من الناحية الغربية فإنه ينزل في خط شبه مستقيم حتى يصل إلى ضواحي مقام سيدي التواتي وبعد ذلك ينحرف السور إلى الشمال حتى يصل إلى حصن عبد القادر الذي كان يدعى في العصر الحمادي بحصن البحر وهذا السور سيقابلنا مرة أخرى إذا عرجنا إلى الشمال محاذين للبحر وعند منتصف الطريق إلى سيدي يحيى ينفتح في السور باب عفت آثاره اليوم وانمحى وكان يسمى في العهد الحمادي باب أمسيوم، وبعد ذلك يتجه السور ملتويا نحو جورايا ولكنه قبل أن يصل إلى النهاية يقف فجأة وربما كان ذلك لأن مهندسي بني حماد رأوا في الارض الوعرة في هذه المنطقة تحصينا طبيعيا يغني عن السور وبعد ذلك يتجه السور ملتويا نحو جورايا وربما كانت الأرض الصخرية الصلبة قد أجبرتهم على الاكتفاء

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 183-184.

2- نفسه، ص184.

3- أحمد سليماني، المرجع السابق، ص 108.

4- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 184-185.

5- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 142.

بالامتداد الضروري لهذا الخط الدفاعي[1] بالإضافة إلى ذلك فإن سور المدينة يساير الأرض في ارتفاعها، وانخفاضها وكذلك الأبراج التي تدعمه والتي يبلغ ارتفاعها ستة أمتار، وأما عرض السور فيتراوح بين 90 سنتيمترا ومترين في بعض الجهات[2] وبذلك تعتبر بجاية مدينة قديمة مسورة أضيف إلى جانبها ربض أدير عليه هذا السور الضام لنطاق المدينة فصار كالشيء الواحد إذ أن الربض[3] في وطاءة والمدينة القديمة في سفح جبل يدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منه المراكب إليها وكذلك بها عينان من الماء إحداهما كبيرة ومنها شرب أهلها[4] وكذلك تتمتع بجاية بنهر كبير يسمى بالوادي الكبير والذي يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم[5] وجار على نحو ميلين منها تحف به البساتين والمناظر على ضفتيه ممتدة من نحو إثني عشر ميلا متصلا بعضها ببعض لا انفصال بينهما إلا ما يسلك عليه إلى البساتين إلى أن يصب في بحر الروم[6].

وكذلك كان لمدينة بجاية عدة أبواب معروفة منها باب أمسيون لا تزال بقاياه ماثلة إلى اليوم في الطريق المؤدية إلى جبل القرود وباب المرسى الذي يقع في منطقة بريجة السفلى[7] وفي جانب الشمالي الغربي يقع باب البنود وهو بمثابة المدخل الرئيسي إلى بجاية ويمكن معرفته في باب فوكة الحالي ومن بين أبواب بجاية المشهورة أيضا باب اللوز الذي اقتحم منه بنو غانية القصبة وهذه الأبواب كلها مندثرة، وأما بالنسبة لباب البحر الذي يفضي كما يدل على ذلك اسمه إلى البحر فإن آثاره لا تزال محفوظة في حالة جيدة نسبيا وهذا الباب مبني بالحجر،

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص190.

2- نفسه، نفس الصفحة.

3- الربض هو أساس المدينة والبناء والربض ما حوله من خارج الأول مضموم والثاني بالتحريك وقال بعضهم هما لغتان لأرابض كثيرة جدا وقل ما تخلو مدينة من ربض، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، دار صادر للنشر، بيروت، دط، دت، ص25.

4- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الحديوية، القاهرة، دط، 1333هـ-1915م، ص109.

5- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1411هـ-1991م، ص103.

6- أبو العباس أحمد القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص109.

7- أحمد سليماني، المرجع السابق، ص109.

والطوب المكوي الذي لا يستعمل إلا نادرا في مباني القلعة ويتخذ شكل قوس ضخم يقوم على قاعدتين مستقيمتين[1].

بالإضافة إلى أن مدينة بجاية تعتبر مبدأ الاتفاق، والنهاية وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية سنية سرية، وثيقة البنيان عجيبة الاتقان رفيعة الميباني، غريبة المعاني[2].

وعلى هذا الأساس تعتبر بجاية بموقعها الذي استهوى الرجال منذ القدم فمن أي طريق جاءها المسافر يفاجأ بروعة المنظر، وسحر أضوائه وأيضا لطفه الغريب يحنو عليها ويحميها خليجها الواسع حيث ترقد على شاطئ البحر الهادئ دوما، والعناصر متناسقة الابعاد بإتقان محكم مقابل المدينة على الجهة الأخرى من الخليج تقوم جبال عالية مخملية صيفا وناصعة البياض شتاءا ذات أسنان حادة متكسرة ترتكز على الهضاب المنحدرة نحو البحر والتي تعرق بالبوابير (البابور) يحس ان توازنها المتين كان نتيجة جهد هائل بذلته الأرض بين أخاديد عميقة تنحدر الهضاب الناعمة عموديا نحو البحر إلى ذلك الخط من الأرض المسطح الخصيب حيث يشكل قرب البحر شواطئ سباحة لا تنتهي ومن هذه الشواطئ إذا أخذ المسافر طريق جيجلي وعلى هذا فإن بجاية بكاملها تشكل منظرا عجبا، وخاصة أن حجم الجبال التي يحملها يدفع إلى التفكير بلا مقاومة بالأفعى الخرافية ذات الرؤوس السبعة أو بتنين رابض يتشكل رأسه من سبع قمم صغيرة حادة، وهي بذلك على شكل مثلث تقريبا يشكل الميناء قاعدته، أو البحر حيث أصبح يطلق على هذه المدينة لقب "لؤلؤة المغرب" بلا منازع[3] وهي بذلك على نظر كبير،

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص192.

2- محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تق، سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، ط1، 1428هـ-2007م، ص49.

3- مؤلف مجهول، بجاية، ضمن سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، مطبعة ألتاميرا روتوبريس، مدريد-اسبانيا، 1970م، ص ص 07-08.

كبير، وفائد عظيم[1]والمدينة المنخفضة، المدينة الجديدة، المدعوة الخميس الذي يوم السوق تمتد من جانب الغابة المقدسة في السهل ويمكن للخيال أن يجنح نحو الفنادق تلك الأماكن المعدة لاستقبال الغرباء القادمين مع حاشيتهم إلى السوق[2] وكذلك المدينة المسورة تبدوا رقعتها أكثر اتساعا بثلاث مرات من الحديثة أو الصلداية المعروفة بالرومانية بإضافة إلى أنه لإظهار أهمية جغرافية بجاية من الضروري ذكر وادي الصومام فهو يخترق الجبال بين نقطتي الهلال الذي يشكله الخليج، وهو أجمل وأهم عنصر في المنظر لأنه يقسمه إلى قسمين، وهناك طريق جميلة جدا تعبر تلك الشطوط الطويلة المخضوضرة في كل الفصول هنا حقول برتقال بجاية التي تعطي أطيب محصول مستساغ وارق قشرة معروفة فإنها الحدود الجغرافية بين القبائل الصغرى والقبائل الكبرى وبالذهاب نحو البحر نشاهد الكبرى على اليسار، والصغرى على اليمين، معروفة دوما بجبالها العالية وعلى جوانبها ورؤوسها تنتشر القرى القبائلية الصغيرة، وكأنها ثريات معلقة لا تحصى[3].

وبجاية يجدها من الناحية الغربية جزائر بني مزغنان بفتح الميم، وسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نونان بينهما إذ تعتبر فرضة مشهورة هناك[4]وعلى الساحل الذي بشرقي بجاية جبال الرحمة يقاسي المراكب في بحرها هو لا شديدا أو سكانها بنو زلدوي من عصاة البرابر وأرضهم حصينة وفي شرقيها القل وهي فرضة مشهورة في ساحل قسنطينة الهوى وبينهما 40 ميلا وموضوع قسنطينة في جنوبيها حيث الطول 26 درجة و40 دقيقة والعرض 33 درجة و22 دقيقة[5]وهي توجد على آخر مملكة بجاية وأول مملكة إفريقية وهي عبارة على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض استدارة لا يتوصل إليه إلا من جهة باب في غربيها ليس بكثير السعة ويحيط بها الوادي من

1-مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتع، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دط، 1985م، ص130.

2- مؤلف مجهول، بجاية، المرجع السابق، ص 08.

3-نفسه، نفس الصفحة.

4- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 109.

5- ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تح، خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، دط، 1958م، ص76.

جميع جهاتها[1]ولديها نهر ينصب في خندقها العظيم الشرقي يسمع له دوي هائل دائر من اعلى المدينة في قطر الخندق مثل ذوابة النجم لبعد المسافة[2]

وعلى البحر مدينة بونة وهي حيث الطول 28 درجة والعرض 33 درجة و50 دقيقة وقي شرقيها مرسى الخرز المخصوص بالمرجان، وأمامه في البحر في هذا الجزء ويداه سردانية الجزيرة المشهورة[3]ومنها كذلك سطيف بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة بعدها فاء وهي مدينة من المغرب الأوسط في الإقليم الثالث حيث الطول سبع وعشرون درجة والعرض إحدى وثلاثون درجة[4].

أما من الناحية الخارجية على ساحل البحر تقابل ميورقة من بلاد الاندلس بانحراف يسير وبعد عن بجاية ستة أيام[5].

ويقابل بجاية أيضا وهي من بر العدوة طرطوشة[6]من الاندلس وعرض البحر بينهما نحو ثلاث مجار وطول هذا البحر ألف ومائة وستة وثلاثون فرسخا وفيه نحو مائة جزيرة[7]هذا بالإضافة إلى ان مدينة بجاية بمثابة تنين مضطجع في الماء ينظر إلى عرض البحر إلى الشمال نحو مدينة مرسيليا الواقعة تماما على نفس الخط من الجهة

1- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 110.

2- إبن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص142.

3- ابن سعيد المغربي، بسط الارض في الطول والعرض، المصدر السابق، ص ص 76-77.

4- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص110

5- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، تح، إبراهيم صالح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، دط، 1423هـ-2002م، ص40.

6- طرطوشة هي مدينة عظيمة من بنيان الأقاصرة حصينة البناء كثيرة الخصب جمة البركات وهي بالضفة الغربية من نهر إبره وبها يقع في البحر عند بابها الكبير، ينظر : مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، دراسة وتح، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ-2007م، ص240

7- محمد ابن علي البروسوي، اوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تح، المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، دب، ط1، 1427هـ-2006م، ص52.

الأخرى للبحر الأبيض المتوسط فهو إذن تنينها الحارس حيث ترقد بجاية على سفحه وكأنها حفنة من القشور الكثيفة المذهبة[1]

وإلى جانب الموقع فإن بجاية تمتاز بمناخها المعتدل جدا في الصيف، ويكثر بها سقوط المطر الغزير في منطقتها لاسيما في فصل الشتاء كما أن البحر الأبيض المتوسط يلطف دائما من جوها ويعطيها كل مميزات وخصائص المدن الساحلية[2].

ثانيا: بجاية على العهد الفينيقي

إن مجمل الأبحاث الأثرية في منطقة بجاية منها على وجه الخصوص تلك التي قام بها M.ADEBRUGE ما بين سنتي (1902م/1906م) أن الحضور التاريخي للمدينة في عصور ما قبل التاريخ حيث تمكن هذا الأخير من كشف النقاب عن مغارة **علي باشا** على بعد ألف وخمسمائة متر من البحر أسفل جبل قورايا إلى جانبها مغارة حصن كلوزال وكذا مخابئ الإبر شمال شرقي بجاية، ويوجد موقع قمة القردة التي كونت الأرضية البشرية الأولى من فصيلة إنسان مشتى الغربي الأيبروموريسي، والإنسان القبصي[3] والبعض الآخر من من الباحثين يلتزمون الصمت التام حيال ذلك، والأثر الوحيد الذي عثر عليه المنقبون هو الحجر الذي وجد اسم المدينة منقوشا عليه ونظرا لموقع بجاية البحري الحصين ومرفؤها الطبيعي قد لفت الأنظار إليها منذ أقدم العصور فبعد ما شيد الفينيقيون مدينة قرطجنة في القرن السابع قبل الميلاد فقد اتجهت أنظارهم إلى الشواطئ الغربية

1- مؤلف مجهول، بجاية، المرجع السابق، ص09.

2- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص103.

3- مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6 هـ-9هـ/12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص130.

الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط وأنشأوا على هذه الشواطئ عددا من المراكز التجارية البحرية[1] وأصبحت بذلك بجاية كمحطة تجارية بحرية فينيقية[2]والذين اطلقوا عليها اسم صلدة ثم إلى صلداي[3].

ثالثا: بجاية على العهد الروماني والوندالي

وبعد سقوط قرطجنة وقبل ان يحتل الرومان بجاية كانت القرية ومنطقتها من ضمن ممتلكات الأمير النوميدي **ماسينيسا** الذي سيصبح حليفا للرومان فيما بعد وخاصة أن هزيمة **يوغرطة** ستغير وضع روما من حليف إلى مستعمر محتل لنوميديا الغربية[4] وهذا بإضافة إلى ان مدينة بجاية تعتبر مدينة قديمة بناها الرومان[5]وهي بذلك ضمن المستعمرات الأولى التي أنشأها القيصر **أوجست** وبعد هذا التحول في سنة 33 ق.م وبعد هذا التاريخ بثمان سنوات أعاد **أوجست** ولاية بجاية إلى **يوبا الثاني** لترضيته في مقابل ضم الرومان بقية المملكة التي ورثها إلى مستعمراتهم[6]وبإضافة إلى ذلك أنه في عهد القيصر **أوجست** بنى الرومان قلعة حصينة على الضفة اليسرى لوادي الساحل لا تزال ماثلة في تلات فوق جبال فنادين[7] وهذه التحصينات اعتبرها القبائل عملا استفزازيا ورمزا للسيطرة التي كانت روما تسعى لفرضها عليهم، وقاموا بثورة ضد الرومان ولم تكن هذه الثورة الأخيرة في منطقة بجاية، وخاصة أنها تعاقبت ثورات القبائل المجاورة لبجاية على روما واتسع نطاقها مع مرور الزمن كما تعاقبت الحملات العسكرية التي كانت روما توجهها إلى هذه المنطقة، وفي جميع هذه الحروب والمعارك مثل الحروب والمعارك التي سيشنها الوندال دفعت بذلك بجاية أتاوة باهضة بدماء أبنائها وأموالهم وبراحة سكانها وبعد أجيال من النهب

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 186.

2- أحمد سليماني، المرجع السابق، ص 108.

3- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 131.

4- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص186.

5- ابن الوزان الزياتي، وصف افريقيا، ج2، تر، عبد الرحمان حميدة، مكتبة الأسرة، دب، دط، 2005م، ص 422.

6- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 186-187.

7- أحمد سليماني، المرجع السابق، ص 108.

والقتل والتخريب قيل ان الوندال اختاروا بجاية لتكون عاصمة مؤقتة لهم وذلك على الرغم من ان الحملات البحرية التي كانوا يقومون بها على أراضي قرطجنة كانوا يوجهونها من بونة[1]وكذلك بجاية التي خربها الوندال عام 430م وعرفت في عهدهم باسم غور gour أي الموقع الصخري أو الجبل الصخري[2]وبعد ما طرد البيزنطيون الوندال من افريقية في سنة 534م تنفست بلاد القبائل الصعداء وساور الناس أمل بأن هذه المناطق ستعود إلى السلام والرخاء الذي عرفته في عهود سابقة وأن الامبراطور **جاستينيان** سيقوم بإصلاح ما أفسده الوندال ولكن ذلك لم يكن سوى وهم تكلفت الحقائق بتبديده بعد حين لأن أعمال البيزنطيين الأولى في إعادة بناء بعض المدن والقرى وتزيينها سرعان ما توقفت وعرف الناس بعد ذلك وجه البيزنطيين الحقيقي لأن حكمهم كان أشد قسوة وتعسفا من حكم الوندال أنفسهم.

رابعا: بجاية على العهد الحمادي

وفي العصر العربي الأول كانت بجاية ق تحولت إلى قرية صغير ة يقطنها صيادو السمك من الاندلس ومن بلاد القبائل وكانت تملك أرضها قبيلة بربرية تسمى بجاية منها أخذت المدينة اسمها العربي[3] وتنسب بذلك إلى قبيلة بقاية وهي فرع من ضنهاجة إلا أن الكاف فيهم ليست كافا به بين الجيم والكاف دون ان ننسى أن بجاية تعتبر حاضرة زواوة من بطون كتامة هذا البطن من أكبر بطون البربر ومواطنهم كما نراه محتفة ببجاية إلى تدلس في جبال شاهقة وأوعار متسنمة ولهم بطون وشعوب كثيرة ومواطنهم متصلة بمواطن كتامة هؤلاء[4]وبذلك حافظت

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 187-188.

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 131.

3- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 188.

4- عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1421هـ-2000م، ص ص 231-232.

المدينة على هذا الاسم على مر الزمن في العصر الاسلامي[1]وإن ازدهارها اقترن بانتقال الحماديين إليها سنة 461هـ/1068م والذي تزامن مع توطن عدد كبير من قبائل بني سليم، وبني هلال ببلاد المغرب والواقع أن هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب مع مطلع القرن 5هـ/11م قد أحدثت تغييرا كبيرا في بنيته العمرانية والديمغرافية بعد ان تمكنت هذه القبائل من اكتساح معظم بسائطه الداخلية فبينما فضل بنو سليم الاستقرار في طرابلس وما حولها من الاراضي الليبية وبذلك تقدم بنو هلال باتجاه إفريقية إذ كانت المقصودة بهذه الحملة فانهزمت عام 449هـ/1057م بعد الانتصار على **المعز ابن باديس** (406هـ-454هـ/1016م-1062م) في معركة حيدران عام (443هـ/1052م)[2] وبعد أن أفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية[3]هرب منهم صاحب القيروان **المعز ابن باديس** إلى المهدية وكان ابن عمه صاحب القلعة **المنصور ابن بلكين ابن حماد** أشد شوكة من صاحب القيروان وأكثر جيشا فخرج لنصرة ابن عمه وجهز جيشا كبيرا فلقيته العرب بحملتها بفحص سبيبة[4]على مقربة من القيروان فكان بينهم يوم عظيم عام 457هـ/1064م لكن هزم **المنصور** وقتل أخوه وأكثر صنهاجة وذلك أن اخاه كان أسن منه فنهاه عن مقاتلة العرب وقال له: "أنت ببلادك فابعث إليهم وصانعهم يأتوك خاضعين طامعين في حياتك فهذا من خلق العرب قديما فأبى إلا لقائهم فلما كان ذلك اليوم وهزم" قال له أخوه: "ألم أنهك أن تلقاهم بنفسك ولكن أعطني تاجك والراية أقيم على الجيش وأنج بنفسك فإن كانت السلامة فمن الله تعالى وإلا بقيت أنت للناس فليس منك الخلق" وهذا من أغرب ما يفعله الأخ مع أخيه والمولى مع وليه

1- أحمد سليماني، المرجع السابق، ص 109.

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص133.

3- إفريقية أطلق الفينيقيون لفظ أفري على أهل البلاد الذين كانوا يسكنون حول مدينتهم القديمة وعاصمتهم قرطاجنة مدينتهم الحديثة، ينظر: محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دب، ط7، 1404هـ-1984م، ص13.

4- سبيبة بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم باء موحدة وهي ناحية من اعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص186.

وأعطاه عمامته ورايته وكانت مشهورة فسار بالجيش حتى لحق وقتل[1] وعلى إثر المعارك والحوادث المختلفة التي حدثت تشاءم الملك **الناصر** من ردة فعل الهلاليين في كل من تونس والجزائر، وخاصة ما أصبحت عليه عواصم القطر الجزائري بأعمال القلعة[2] من تدهور وانهيار خاصة أن العرب الهلاليين قد خربوا المدن والبوادي وقطعوا طرق القوافل في المناطق الشرقية وحتى الجنوبية منها وجعلوا من القلعة جسما هامدا ولم تعد تستطيع القيام بدور العاصمة[3] وهذا ما جعل **الناصر بن علناس** كثير التفكير في إنشاء مدينة حصينة لسلطانه[4] وخاصة بعد هزيمته في موقعة سبيبة غربي القيروان[5] أمام أبناء عمومته الزيريين أصحاب تونس وأيضا نتيجة خيانة القبائل العربية له كانت هذه اهم الأسباب الرئيسية في بناء مدينة بجاية وبإضافة إلى ذلك أن بناءها كان مرتبط أيضا بقصة الصلح بين **الناصر الحمادي وتميم ابن المعز** ويعد حادثة سبيبة وبقصة خيانة **ابن البعبع** أحد رجال **تميم** له وتآمره مع **الناصر** فإن الناصر قد ندم على تورطه في الحرب ضد بني عمومته ومال إلى الصلح معهم وشاور في ذلك وزيره **أبا بكر بن أبي الفتوح** الذي كان يميل إلى هذا الرأي قبل موقعه سبيبة فقررا الوزير إرسال الرسول إلى **تميم** يطلب الصلح وتحسين العلاقات وقد وافق **تميم ابن المعز** العرض بموقف إيجابي فأرسل أحد رجاله يسمى **محمد ابن البعبع** إلى ابن عمه **الناصر ابن علناس** ومعه شروط الصلح لكن **ابن البعبع** خان تميما وانضم إلى الناصر ووعده بالمساعدة في امتلاك بلاد تميم وأظهر له مواطن ضعفها واقترح عليه بناء بجاية في موقعها الذي كان يمر به وأعجبه لتكون على الساحل ولتكون قريبة من إفريقية الزيرية لكن هناك رأي آخر يدل على أن بناء بجاية يرجع إلى مجرد

1- محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م، ص81.

2- عبد الرحمن ابن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1384هـ-1965م، ص370.

3- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 189.

4- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج1، ص370.

5-القيروان أم الأمصار وقاعدة الأقطار أسسها الصحابة الأخيار رضي الله تعالى عنهم فكانت اعظم مدن المغرب قطر وأكثرها بشرا، ينظر: محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، مج1، تح، علي الزواوي، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص115.

الخوف من غزوات الهلاليين أو بالأحرى فإن بنائها مرتبط بالصدفة إذ أن **الناصر ابن علناس** كان يمر في طريقه إلى القلعة فرأى صنيعة صغيرة لصنهاجة تدعى بجاية[1]وكل هذه التعليلات التي وردت بعد ذلك فلا يوجد ثمة تنافر بينهما ففي فترة التفكير في موقع العاصمة الجديدة يمكن أن تكون قصة **ابن البعبع** قد حدثت ونحن نرجع صحة حدوثها ويمكن أن يكون **الناصر** قد شارك **ابن البعبع** الرأي وتفقد المكان بنفسه كما أنه لاشك أن من أهداف العاصمة الجديدة حماية الدولة الحمادية من غارات الهلاليين وإتاحة مكان أفضل لها بالنسبة لمنافسيها في تونس وخاصة أن مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد[2]ومن ثمة خرج **الناصر ابن علناس** بنفسه إلى هذا المكان للتحقيق من صحة قول السفير **ابن البعبع** فوجد ضالته المنشودة فيها[3]وخاصة أنه وجد فيها امتيازات عديدة تجعل منها مدينة تشكل ملجأ آمنا وموطنا ضد توسعات الأعراب الهلالية بفضل حصانتها الطبيعية التي تتمتع بها وخاصة أنها توجد في وسط قبائل صنهاجة المستقرة مثل: قبيلة بجاية، وبني سدويكش، وكتامة، وزواوة وهذا ما جعله يطمئن عليها من الجانب السياسي دون أن ننسى تفتح المدينة على التيارات الخارجية والاتصال المباشر بمراكز الاقتصاد والحضارة في الحوض الغربي للمتوسط لاسيما منها الأندلس[4]فإن كل هذه الامتيازات التي تتمتع بها مدينة بجاية ساهمت بشكل واسع فأن يشرع **الناصر بن علناس** عام (460هـ/1067م) في تأسيس بجاية على مقربة من مبنى صلداي الفينيقية[5]وسارع بذلك إلى استجلاب العمال والمهندسين للشروع في البناء وبينما كان العمل يجري على قدم وساق كان الناصر يقيم في خيمة ضربها في الحي الذي اتخذ منذ ذلك الوقت اسم **دار الناصر** والذي يقع في المكان المعروف الآن بحصن كلوزيل تحت مشارف

1- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 99.

2- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 100-101.

3- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص370.

4-مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص135.

5-مبارك الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، دار مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دط، 1963م، ص225.

الجبل[1] بإضافة إلى ذلك كان العاهل الحمادي يصدر أوامره للتخطيط والتنفيذ وقد بدأ أولا في بناء السور المحصن الذي يبتدئ عند الشاطئ ويصعد متدرجا مع الجبل في شكل مثلث ضخم حتى يقتحم صخور جورايا الوعرة في مكان يبلغ ارتفاعه 660 م عن مستوى البحر ويمتد هذا السور الذي يمكن مشاهدة آثاره حتى اليوم في خط يساير تعرج الشاطئ ويحيط بالمدينة من جانب البحر أيضا[2] وعندما اكمل بناءها نقل الناس إليها وأسقط الخراج عن سكانها وانتقل هو إليها وسماها الناصرية ولكن غلب عليها اسم بجاية[3] وهذه الاخيرة التي عمرت بعد خراب القلعة التي بناها **حماد ابن بلكين** وهي التي تنسب لدولة بني حماد إليها والقلعة أن ذاك وقبل عمارة بجاية كانت دار ملك لبني حماد وفيها كانت ذخائر هم مدخرة[4] وعلى هذا الأساس فإن اضمحلال القلعة وأفولها جعل من **الناصر ابن علناس**[5] يكون حاضرة جديدة منذ (461هـ/1068م) بدل قلعة بني حماد فكان لابد للأسطول الحمادي من أن يجعل السيادة على البحر الأبيض المتوسط من ميناء عظيم حصين يلتجأ إليه ويجعله قاعدة لعملياته الحربية فكانت بجاية بذلك قاعدة مصوبة إلى القواعد النصرانية تتحكم في ساحل البحر، وتقاوم التوسع النورماندي، وعلى هذا جعل من الناصر اختيار هذا المكان الإقامة حاضرته الجديدة على فهم صادق لأحوال المغرب الأوسط واتجاهاته لاسيما بعد اندحار الزيريين وانتشار الهلاليين هذا إلى هناك عوامل عدة كان لها دورها في تحديد طبيعة علاقة الحماديين ملوك القلعة بالمسيحيين فمثلا موقع الدولة الحمادية الذي كان بدوره يتوسط القوى المغربية ويمثل حاجزا منيعا بين القوتين الكبيرتين المرابطين من جهة والنورمانديين من جهة ثانية[6] وعلى هذا

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 189.

2- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 189.

3- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص225.

4- اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م، ص170.

5- الناصر بن علناس مؤسس مدينة بجاية ويعتبر الملك الخامس لملوك أسرة بني حماد، ينظر : عبد الرحمان دويب، تاريخ المدن، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط خاصة، 2013، ص504.

6- صالح يوسف بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي دراسة تاريخية وأثرية، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009م، ص145.

الأساس أصبحت بجاية دار لقبائل زواوة خاصة أن هؤلاء استوطنوا بجاية وشكلوا بذلك نسيجا عمرانيا من جهة والنمو الحركة الديمغرافية بالمدينة من جهة أخرى وهذه العملية تمت على الشكل التالي:

مرحلة القرنين: (5هـ-6هـ/11م-12م) وكانت بتشجيع من **الناصر ابن علناس (454هـ-481هـ/1062م-1089م) وابنه المنصور** سنة (481هـ-498هـ/1089م-1104م) اللذان عملا على استقطاب سكان البادية التي تقع في المحيط الجغرافي للمدينة لاسيما من منطقة زواوة، وبهذا قدم **الناصر** امتيازات جبائية برغبة أهل البادية في تحقيق تطلعاتهم الاقتصادية بالبحث عن مواطن أخرى للإستقرار بامتهان حرفة معينة تستجيب لمتطلباتهم المادية كما لا يمكن أن نستبعد أن تيار الهجرة نحو بجاية وهذه الهجرة قد ارتبطت عمليا بتعمير الهلاليين للمناطق الداخلية وهو ما نلمسه بالنسبة لسكان مشذالة وحمزة.

هذا بإضافة إلى أنه من الشواهد التي تعكس حجم تواجد الزواويين ببجاية خلال هذه الفترة هو دفاعهم عنها ضد الغزو الموحدي سنة (547هـ/1148م) مما يعطي الدليل على أنهم شكلوا شريحة عريضة في المجتمع البجائي وأن ذودهم كان من منطلق شعورهم بأنهم أهل المدينة[1].

لكن تستمر بجاية فيما بعد بظهور بمظهر المدينة الكبرى سواء كميناء تجاري أو كقاعدة للقراصنة أو كمركز ثقافي وديني وبصفتها تلك ستتبوأ أيضا منزلة مرموقة مرات متكررة باعتبارها عاصمة من بين المدن المغربية الأخرى حيث كانت تمثل مع تلمسان[2] من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر قطبا من أقطاب البلاد الجزائر الحالية وهذا ما يدل على أن اختيار **الناصر ابن علناس** كان صائبا[3].

1- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص ص 136-137.

2- تلمسان مدينة مشهورة بالجزائر في عمالة وهران وتنطق بكسرتين وسكون الميم وبمفهوم يقول تلمسين أو تلمسان بكسر التاء وسكون اللام وفتح الميم وهي في الحالات صيغة جمع للكلمة البربرية تلماس بمعنى الغدير أو المنبع، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح وتع، أحمد مختار العيادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دط، 1964م، ص61.

3- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية على العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، ج1، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص410.

خامسا: بجاية على العهد الموحدي

بالرغم من الانجازات العظيمة التي وصلت إليها بجاية على العهد الحمادي لكن في السنوات الأخيرة من عهدها عرفت تراجعا كبيرا خاصة في عهد الملك **يحيى ابن العزيز** وفي عهد هذا الأخير كانت قوات الدولة الموحدية تعمل على بسط نفوذها في الأندلس تفتحت امام **عبد المؤمن ابن علي** جبهة جديدة في المغربين الأوسط والأدنى (إفريقية)[1] وهذا ما أدى **بعبد المؤمن ابن علي** أن يضم مملكة بني حماد الزيريين الصنهاجيين إلى ملكه أولئك الذين أسسوا مدينة بجاية 457هـ/1065م واتخذوها حاضرة لملكهم وخاصة في هذه الأثناء كان النصارى يقومون باغتصاب مملكة بني باديس الزيريين الصنهاجيين أبناء عمومة الحماديين أصحاب بجاية حيث استولى النورمان الصقليون على مدينة المهدية[2]سنة 543هـ/1148م وعبثوا فيها فسادا في الثغور الإفريقية على طول ساحل ليبيا وتونس وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من مملكة بني حماد[3].

وعلى هذا الأساس قام المسلمون باستعانة بهذه الثغور بالخليفة **عبد المؤمن** ولم يكن هناك من سبيل إلى انقاذ هذه الثغور من يد الصليبيين دون الاستيلاء على مملكة بني حماد لأنها تعتبر الفاصل بين دولة الموحدين وإفريقية[4] التي استأسد بها النصارى وكانت بجاية أيضا قد انتابها الضعف الشديد لانغماس حكامها في اللهو والترف وخاصة شدة حملات العرب الهلاليين وإغارتهم التي لا تنقطع عنها فإذا لم يسارع **عبد المؤمن** إلى ضم مملكة الحماديين إليه فإن النصارى سيبطشون بهم دون شك وهناك رأي آخر لا يقل خطورة عما سبق وهو أن المرابطين المتمردين على **عبد المؤمن** بالمغرب والأندلس كانوا سوف يتخيرون بجاية الصنهاجية عشا يلجأون إليه

1- صالح بن قربة، عبد المؤمن ابن علي موحد بلاد المغرب، الجزائر، دط، 2007م، ص49.

2- المهدية مدينة مبنية في جبال الأطلس في وسط الغابات بجوار عيون حتى لتكاد تبدو كأنها في السهل، ينظر: ابن الوزان الزياتي، المصدر السابق، ج2، ص367.

3- عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ابن علي، دار المعارف، مصر، دط، دت، دط، ص ص 202-203.

4- صالح بن قربة، عبد المؤمن ابن علي موحد بلاد المغرب، المرجع السابق، ص49.

ويتجمعون فيه ويكيدون منه للدولة الموحدية التي كانوا يعتبرونها مغتصبة لملكهم التليد[1] بإضافة إلى ذلك أن النصارى بالأندلس كانوا قد وضعوا حلفا من **محمد ابن مردنسيس** وصهره **ابن همشك وبني غانية** المرابطين الذين أسسوا مملكة قوية بجزائر البليار (ميورقة ومنورقة ويابسة) ويهدف هذا الحلف إلى اضعاف الموحدين والقضاء عليهم بالأندلس والمغرب على السواء فلهذه الاعتبارات أو لشيء منها رأى **عبد المؤمن** أنه من الضروري أن يضم الموحدون بجاية إلى المغرب.

وقد أحاط **عبد المؤمن** حملته إلى بجاية بالسرية التامة ولكي يظلل أعداءه فيما يتجه إليه أذن للوفود الأندلسية التي كانت قد طلبت الإذن في لقائه بأن تقدم إليه لتقابله بمدينة سلا[2] ثم أخذ يزود هذه الوفود بالنصائح وبعد أيام معدودة اتجه إلى مدينة سبتة[3] موهما أنه سيعبر مسرعا نحو بجاية واستولى في طريقه إليها على **الجزائر بني مزغنان** (مدينة الجزائر الحالية) حيث كان يحكمها الوالي عهد بجاية الذي فر وتركها للموحدين وأسرع نحو بجاية ليبلغ أباه **يحيى ابن العزيز بالله الصنهاجي** بهجوم الموحدين وكان **يحيى** هذا رجلا لا يحفل بغير اللهو فحين أبلغه ابنه بمقدم **عبد المؤمن** ففرعن ملكه إلى مدينة بونة[4] ثم إلى مدينة قسنطينة كما فر أخواه **الحارث وعبد الله** إلى صقلية ليحتميا با افرنج وهذا ما أدى إلى تفكك العائلة الحمادية وضعفها وخاصة أن بجاية كانت موشكة على وقوعها في قبضة النصارى لولا أن تداركها الله ووجه إليها **عبد المؤمن** الذي دخل هذه المدينة فاستسلمت

1- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 203.

2- سلا مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمورٌ إلا مدينة صغيرة وهي مدينة متوسطة في الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذها البحر والنهر فالبحر شماليها والنهر غربيها، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 231.

3- سبتة هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص182.

4- بونة مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغناي وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص512.

له دون مقاومة وكان ذلك سنة 547هـ/1152م[1] ومن ثمة كان مسير **عبد المؤمن** إلى قلعة بني حماد معقل الصنهاجيين الأعظم فاقتحمها عنوة وخربها وأضرم النار في مساكنها[2].

لكن بالرغم من هذا كله إلا أن قبيلة صنهاجة الكبرى عز عليها أن تسقط مملكة الحماديين الصنهاجيين في يد **عبد المؤمن** بهذه الكيفية المزرية فأخذتها العزة وجمعت جموعها وحشودها من القبائل المجاورة مثل كتامة ولواتة واتجهت إلى الحرب على **عبد المؤمن** ببجاية بقيادة شخص يدعى **أبا قصبة** من بني زالداوي الصنهاجيين حيث كانت صنهاجة تهدف إلى إعادة بجاية إلى الحماديين ولكن الموحدين خيبوا آمالهم إذ التقوا بهم بجيش كبير بقيادة **أبي سعيد يخلف** من اهل الخمسين لكن انهزمت صنهاجة وحلفائها[3]

وبعد ذلك قام **عبد المؤمن** باستيلاء على أملاك الحماديين مثل الجزائر وبجاية والقلعة وأعمالها وعين ابنه **عبد الله** واليا عليها ورتب من الموحدين من يقوم بالدفاع عنها[4] ثم من بعدها ارتد راجعا إلى مراكش[5].

وبهذا كان انبعاث السلطنة الموحدية نفسها يمثل محاولة تاريخية لوحدة أقطار المغرب الإسلامي حيث عرفت بذلك ازدهارا كبيرا خاصة في عهد **عبد المؤمن ابن علي**[6] اللهم ما عدا بعض الاضطرابات والتحولات السياسية في بجاية والتي تمثلت أساسا في الهجمات المتتالية التي كان يقوم بها بقايا الملثمين المتواجدين بجزيرة ميورقة الأندلسية مثل الحملة التي قادها **علي ابن اسحاق ابن غانية** بين سنتي 580هـ و581هـ ثم التي تزعمها أخوه **يحيى** عام 599هـ وتمكن خلالها أن يمتلك المدينة لمدة سنتين تقريبا.

1- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 205.

2- صالح بن قربة، عبد المؤمن ابن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1991م، ص 39.

3- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 205.

4- صالح بن قربة، عبد المؤمن ابن علي مؤسس دولة الموحدين، المرجع السابق، ص 40

5- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 205.

6- محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، دط، التاريخ: 1406هـ-1986م، ص90.

لكن في عام واحد وستمائة استطاع السلطان الموحدي **الناصر ابن المنصور** استرجاعها وإلحاقها بولاية تونس ونصب عليها **أبا محمد عبد الوهاب ابن أبي حفص** جد الأسرة الحفصية هذه المستبدة فيما بعد على تونس وبجاية ومن ذريته وأحفاده **أبو زكريا يحي الأول** المستقل بالدولة ومؤسس الحفصية بتونس وبجاية[1].

سادسا: بجاية على العهد الحفصي

بعد ان وطد **أبو زكرياء يحي الأول** (594-647هـ) دعائم دولته بتونس قام بتوسعات نحو الغرب فنازل بجاية وافتتحها سنة ثمان وعشرين وستمائة وتقبض على واليها الموحدي دون صعوبة تذكر ويمكن تفسير ذلك ربما بقوة الجيش الحفصي من جهة وللفتن الداخلية التي دبت في وسط العائلة المؤمنية في آخر أيامها من جهة أخرى[2]وقام باستخلاص بجاية من بني عبد المؤمن وقام بإزاحة واليها الموحدي **أبي عمران** بسهولة[3].

هذا بالإضافة إلى أن **أبو زكرياء** عقد لإبنه **يحي الحفصي** على ولاية بجاية ومنذ سنة 628 هـ أصبحت هذه المدينة تابعة للحاضرة بتونس يحكمها أمير من الأسرة الحفصية ومن ثمة عمل أمير بجاية **يحي الحفصي** على الاعتناء بالمدينة نظرا لأهميتها الاستراتيجية ولكونها ثغرا مهما بالجهة الغربية يجب حمايته فأرسى بها الأمن ووسع حدودها إلى أن توفي بها عام ستة وأربعين وستمائة ويبدو أن الأمير **أبا زكريا** قد عظم جزعه إثر وفاة ابنه وولي عهده.

لكن لم يعمر **أبو زكرياء** طويلا بعد ذلك وتوفي بدوره ببونة سنة سبع وأربعين وستمائة فأقدم بذلك السلطان **محمد ابن أبي زكرياء** الملقب **بالمستنصر بالله** (647-675هـ) على تحصين بجاية ومدها بالعدد والعدة بهدف تقويتها وجعل أخاه الأمير **أبا اسحاق الحفصي** أميرا عليها عام خمسين وستمائة حيث كان **المستنصر بالله** يقوم بنفسه بالإشراف عليها والاستقرار والمكوث بها تارة وبحاضرة تونس تارة أخرى ولم يمضي وقت طويل حتى قامت بجاية بدور أساسي في الحياة السياسية لدى الدولة الحفصية وكذلك قامت بجاية بالأدوار الأساسية سواء على المستوى السياسي أو العسكري باعتبارها قاعدة الحفصية الغربية وعاصمة الاقليم الغربي للسلطنة[4].

1- محمد الشريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2011م، ص ص 20-21.

2- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص21.

3- مسعود بريكة، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9هـ/13-15م)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2014م، ص 74.

4- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص ص 21-22.

المبحث الأول: الفلاحة

أ- عوامل نجاح الزراعة:

عرف عبد الرحمن ابن خلدون الزراعة بقوله: "إن الزراعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب وهي صناعة تقوم على إثارة الأرض وازدراعها وعلاج نباتها وتعهد بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الاعمال لذلك وتحصيل أسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا".

وعلى هذا الأساس أرجع ابن خلدون تطور الفلاحة والاعتناء بها إلى عوامل طبيعية وأخرى بشرية بمفهومنا الحاضر حتى يحصل على قوت الإنسان ومن هنا نستخلص أنه حتى تكون هناك محاصيل زراعية متنوعة لابد من وجود عوامل وأسباب تجعل من إمارة بجاية تحتل مكانة زراعية جيدة ولعل من أبرز هذه العوامل نجد أن بجاية تتوفر على مناخ معتدل وأرض زراعية شاسعة ممتدة على نطاق واسع هذا بإضافة إلى أنها تحتوي على تربة جيدة ومتنوعة تتلائم مع العديد من المنتوجات الفلاحية كما تسقط بها كميات معتبرة من الأمطار قد تصل إلى حوالي 1000ملم سنويا لاسيما في سهل مدينة بجاية وضواحيها وقد ساعد أيضا انتظام الفصول بها وحرارتها المعتدلة في التأثير مباشرة على المنتوجات الزراعية وتنوعها[1]وكذلك تتميز بوفرة المياه وتوجد بها منابع المياه التي كان لها دور كبير في تنمية الزراعة[2].

لكن هذه الشروط تبدو غير كافية لاستمرار الفلاحة فلابد من شروط أخرى نطلق عليها في وقتنا الحاضر العوامل البشرية والمتمثلة أساسا في الفلاح البجائي وأعتقد أن هذا الفلاح يعتبر جزء من الفلاح المغاربي فهو ذو مهارة بطبعه ويحسن الاعتناء بالأرض واستغلالها ومتضلع بفنون الفلاحة منذ الأزل[3]دون أن ننسى الدور الذي قام

1-محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص ص 50-51.

2 – مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2013م، ص 52.

3 – محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص51.

به الحكام والأمراء في الاعتناء بهذا القطاع والعمل على تطويره وضمن هذا المنظور جاء العمل الذي قام به السلطان الحمادي حيث جلب المياه عن طريق القناطر من جبال بجاية نحو المدينة وسهولها فاستعملت كمياه للشرب وأخرى للسقي أي سقي البساتين والمزارع وقد انعكست هذه العوامل بالإيجاب على الفلاحة بمدينة بجاية وسوف يتضح ذلك من خلال تنوع عدد المحاصيل الزراعية[1].

وهذا ما جعل بجاية تحتل المكانة الأولى للأكثر من نصف عمر الدولة فقد كان بها بواد ومزارع[2]هذا بإضافة إلى اهتمام خلفاء الموحدين الذين كانوا من سادة من بني **عبد المؤمن** ولاة بجاية وغيرها يعنون بالغراسة وكذلك اهتمامهم بالمزروعات وحمايتها فقد لجأ يعضهم إلى منح بعض الأراضي الزراعية إلى الجنود وغيرهم لزراعتها واستثمارها وذلك على شكل إقطاعات وهؤلاء عملوا على استغلالها مما ساعد على ازدهار الزراعة ونموها وقد أشار الماوردي إلى الإقطاع وأحكامه بقوله: "وإقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه ونفذت فيه أوامره ولا يصح فيما تعين فيه مالكه وتميز مستحقه وهو ضربان: إقطاع تمليك وإقطاع استغلال"[3].

وإلى جانب ذلك فإن الحياة الاقتصادية أخذت تنتعش وأحوال الشعب المعيشية تتحسن خاصة أن **عبد المؤمن ابن علي** قد أصدر أوامره إلى عماله في كل من المغرب الأقصى والأوسط وحتى الأدنى بأن يمسحوا الأرض ويسقطوا الثلث مقابل الجبال والغياض والأنهار والطرق والحزون والسبخ ويفرضوا الخراج على ثلثي الأرض ففعلوا ما أمروا به وألزمت كل قبيلة بقسطها من الزرع والمال وقد استند في هذا إلى قاعدة شرعية أقرها العلماء وهي أنه فتح البلاد بالسيف ثم عمد إلى مصادرة أموال اليهود والنصارى الذين لم يسلموا طبقا لقراره وكذلك نظم قانون الخراج أن ينهضوا بزراعتهم ليفوا بما تتطلبه معايشهم وبما تستحقه الحكومة ومن جهة أخرى فقد راقبت

1- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص ص 51-52.

2- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 220.

3-حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص ص237-238.

الدولة أحوال الزراعة وكثير ما أسدت النصائح العلمية للزراع لنذر الأرض أكبر قدر، وأرض المغرب من أخصب بقاع العالم وأطيبها تربة وأكثرها أنهارا[1].

ب- أهم المحاصيل الزراعية:

تعددت ألوان النشاط الزراعي في المجتمع الحمادي وتعددت المحاصيل التي ينتجها وقد ساعدت كثيرا في تحقيق الإكتفاء الذاتي كما تمكنوا من تصدير بعض المحصولات وبعضا من الحيوانات التي تعيش حول الزراعة وكانت الأرض محيطة بالمدن وحتى القرى الحمادية تعتبر مجالا للنشاط الزراعي وبالنسبة للدور الثاني وهو الدور الذي برزت فيه بجاية كعاصمة ثانية للدولة الحمادية بعد القلعة حيث احتلت بجاية المكانة الأولى للأكثر من نصف عمر الدولة حيث كانت تهتم خصوصا بفلاحة القمح والشعير[2]الذي كان يشكل الإنتاج الأهم في المناطق الريفية المختلفة حيث يمثل الغذاء الشعبي الأساسي[3]هذا بالإضافة إلى أن زروعها تزرع على الأمطار وبها من الحبوب الأخرى كالحمص، والفول، والعدس، والذرة، والدخن، والجلبان، والبسلا، واسمها عندهم البسين أم الأرز فمجلوب إليها[4]

وكذلك نجد نجود قسنطينة وسهول مسيلة وسطيف وحتى طبنة مشهورين بزراعة الذرة والحمص والفول والقطن والتي هي منتشرة في ذلك العهد وفي هذه المناطق[5].

ج - منتوجات فلاحية أخرى:

كانت الكروم موجودة بالغدير ونقاوس وطولقة والقل وجيجل والخضراء (عين الدفلى الحالية) حيث كان عنب جيجل يحمل إلى بجاية.

1 - عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص ص 253-254.

2 - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص221.

3 - اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص 227.

4 - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص112.

5 - اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص 227.

وأما بالنسبة للزيتون في عهد بني حماد كان منتشرا في كل من بسكرة وطولقة وبنطيوس[1]ومن بين الخضر المنتشرة في بجاية أهمها الخيار، والقثاء، وبها اللوبيا، واللفت، والباذنجان، والقنبيط، والكرنب، والرجلة، والبقلة اليمانية واسمها عندهم بلندس، والخس، والهندباء على أنواع وسائر البقول والملوخيا على قلة والهليون، والصعتر[2].

أما الفواكه:

كان المغرب الاوسط غنيا بالفواكه في عهد بني حماد ومن بين أسماء أنواع الفواكه وهي التمور والتين والسفرجل والجوز واللوز والتفاح.

1- التمور:

كانت التمور موجودة ببسكرة، وطولقة، وطبنة، ونقاوس، والمسيلة، فكانت بسكرة مشهورة بتمورها حتى عرفت ببسكرة النخيل كما جاء في قصيدة **أحمد ابن محمد المرودي:**

ثم أتى بسكرة النخيل قد اغتدى في زيه الجميل[3]

حيث كان تمر هذه المناطق يتمتع بشهرة خاصة ولاسيما النوع الذي كان يعرف بالكسبا أو الصيحاني والنوع الذي يسمى بالليلري (أبيض أملس)

2- التين:

كان التين موجودا بنواحي بجاية حيث اشتهرت بإنتاجه حيث كان التين يجفف ويصدر إلى الخارج[4]

3- الجوز:

كان الجوز موجودا ببجاية، وجيجل، وتنس، وسطيف، ونقاوس، حيث كان جوز هذه المدينة الأخيرة مشهورا جدا وعلى قول صاحب كتاب الاستبصار "يحمل إلى قلعة بني حماد وإلى أكثر تلك البلاد" وذكر

1 – رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1397هـ-1977م، ص ص 130-131.

2 – القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص ص 112-113.

3 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 131.

4 – اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص 228.

الادريسي أيضا من جهته أن من مدينة سطيف "يحمل الجوز لكثرته بها إلى سائر الأقطار وهو بالغ الطيب حسن ويباع بها رخيصا"

4- اللوز والتفاح:

كان اللوز في نقاوس والتفاح بجيجل[1] ومن بين الفواكه الأخرى المنتشرة في بجاية متمثلة في الرمان: الحلو والمر والحامض والسفرجل والكمثرى والعناب والزعرور والخوخ والمشمش على أنواع والتوت الأبيض، والفرصاد وهو التوت الأسود والقراصيا والأنزج، والليمون، والليم، والنازيح، والفستق، والبندق، مفقود بها وكذلك الموز وبها فاكهة تسمى المصغ فوق قدر البندقة لونها بين الحمرة والصفرة وطعمها بين الحموضة والقبض شبيه بطعم السفرجل حيث يوجد في فصل الشتاء يقطف من شجرة غضا فيدفى ويثقل كما يفعل بالموز فينضج ويؤكل حينئذ ولكن يوجد بها قصب السكر على قلة ولا يعتصر بها وبها البطيخ الأصفر على أنواع والبطيخ الأخضر مع قلة واسمه عندهم الدلاع[2]، وبهذا أصبحت فواكه بجاية تكفي لكثير من البلاد[3].

هذا بالإضافة إلى أنها يوجد بها الرياحين الآس، والورد، ومعظمه أبيض والياسمين، والنرجس، واللينوفر الأصفر، والترنجاني، والمنثور، والمرزنجوش، والبنفسج، والسوسن، والزعفران، والحبق، والنمام[4].

- النباتات النسيجية:

في عهد بني حماد نجد النباتات النسيجية التالية: القطن بالمسيلة وطبنة ونقاوس والكتان بيونة وطبنة ومقرة ومتيجة.

1 - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 133.

2 - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص112.

3 - محمد الشريف الادريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دب، دط، 1863م، ص90.

4 - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص113

- **النباتات الطبية:**

من بين النباتات الطبية التي كانت تنبت في المملكة الحمادية نذكر: عاقر قرحا وهو الكافورية أو حشيشة الحمى وتوجد بناحية سوق حمزة وكذلك هناك نباتات موجودة بجبل أمسيون ببجاية ذكرها الادريسي وهي شجر الحضض والسوقولفندوريون والبرباريس والقندلوريون الكبير والزراوند والقسطون والأفسنتين والقنطورسون والرواندووا[1]وكذلك الأسقيوس[2]، حيث كان العالم النباتي الأندلسي **ابن البيطار** يستعمل هذه النباتات في صناعة الطب[3]وكذلك يوجد نباتا ينبت بناحية قلعة بني الحماد يشربه أهلها ليتحصنوا من ضرر العقارب وعلى قول الإدريسي يسمى هذا النبات الفوليون الحراني "وينفع شرب درهمين منه العام الكامل فلا يصيب شيء من ألم تلك العقارب وهذا عندهم مشهور وقد أخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا وحكى عن هذه الحشيشة أنه شربها وقد لسبته العقرب فسكن الوجع مسرعا ثم أنه لسبته العقارب في سائر العام ثلاث مرات فما وجد لذلك اللسب ألما' **نباتات مختلفة:** نذكر منها الزعفران الموجود بمجانة والنيل المزروع بالغدير والحناء.

2- **الغابات:**

كانت الغابات موجودة خصوصا في ناحيتي بونة وبجاية حيث ينبت شجر الصنوبر[4]الذي يستخرجون منه أحسن أنواع الصمغ والقطران[5] وبجانب غابات بونة وبجاية غابات بجبال الرحمان وهو جبل عظيم قرب مدينة القل

1 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص133.

2 – مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص52.

3 – روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص231.

4 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص134.

5 – عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، دب، ط1، 1982م، ص59.

حيث توجد أشجار خشبها قابل للخرط وبالأخص بمكان يسمى مرسى الخراطين[1] ويوجد كذلك غابات بمدينة زانة على مرحلة من بونة من جهة الشرق حيث كان يوجد شجر الزان الذي كان يجلب إلى إفريقية[2].

كما ساد في منطقة بجاية انتاج الشمع واقترن اسمها بهذه المادة وصدرتها إلى الخارج وإلى جانب ذلك عرفت بجاية أثناء العصور الوسطى بانتشار الفلين في القل وتهافت الأوروبيون عليه حيث كان على ارتفاع 1200 م و1300م وغطت أشجار الأرز جبال البابور وجرجرة على ارتفاع أكثر من 1700م وخشبه جيد للخراطة.

وكذلك استخرج البجائيون من بعض الأشجار مسحوق الصباغة الذي يستغل في صباغة الجلود والصوف وفي غيرها من الصناعات النسيجية وكانت هذه المساحيق المستخرجة من الأشجار والتي تستعمل في الدباغة مصدر موارد مالية لخزينة الدولة القادمة من أوروبا[3].

تربية المواشي:

إن حرفة تربية المواشي نشاط يمارسه سكان المناطق الجبلية وأصحاب الأرياف في بلاد المغرب الأوسط عامة واحتوت بجاية على ثروة حيوانية معتبرة نتيجة لتوفر الكثير من المناطق الرعوية على وجه الخصوص مما سمح للسكان من الاستفادة من لحومها وألبانها حيث إن تربية المواشي حرفة قديمة مارسها سكان المغرب الاسلامي منذ القدم وعرفت هذه الحرفة تطورا واتساعا واسعا مع قدوم العرب البدو الرحل وكذلك احتلت تربية المواشي المرتفعات القريبة من بجاية لأن السهل الوادي كان ميداني الحبوب والبساتين ولا نستطيع أن نقدر مجالها الجغرافي وان أشارت وثيقة واردة في الكتاب "**دماس لاتري**" تحت عنوان "**معاهدات السلم والتجارة**" إلى تربية الماعز

1 – أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، دط، دت، ص83.

2 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص134.

3 – محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ-10هـ/12م-16م) بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، الجزائر، 1430-1431هـ/2009م-2010م، ص222.

بتاريخ 19 ماي 1181م عرضا حينما تحدثت عن شكوى تجار بيزة الذين لاقوا صعوبات للحصول على جلود الماعز من مملكة بجاية.

ولم يرد خبرا صريحا حول وجودها في جبال بجاية إلا **ليون الإفريقي** الذي قال: "ولا تسكن هذه الجبال قبائل غنية ذات شهامة وكرم وهي تملك عددا هاما من الماعز والبقر والخيول" ولعل تربية الأغنام والماعز تصدرتا الماشية لعلاقتها بالأسواق الخارجية فمجلد الماعز والأغنام كانتا بضاعتان مطلوبتان من قبل الأوروبيين حيث لا تعود أهمية تربية الأغنام إلى إنتاج الجلود فحسب بل أيضا لإنتاج الصوف والفروة حتى أصبحت الفروة السوداء الرقيقة الجيدة للأغنام بجاية من الأصناف العالمية آن ذاك[1] هذا بالإضافة إلى وجود كل من البقر والخيل والبغال والإبل وحتى النحل حيث نجد البقر بجيجل والجزائر وبونة والمسيلة وطبنة حيث تربى الإبل في الجنوب والنحل ببونة.

وذكر الإدريسي أن بالجزائر العسل والسمن كثيران "وربما يتجهز بهما إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم وحتى المتباعدة عنهم" وكثر ببجاية العسل والسمن[2].

وتتوفر أيضا على الغزلان وبقر الوحش وحمره والنعام وغير ذلك ويوجد بها أنواع من الطيور وفيها الدجاج والحمام كثيرا والإوز وبها الكراكي وهي صيد الملوك كما بمصر وغيرها من طيور الصيد[3]

الصيد البحري:

أ) **صيادة السمك:** إن صيادة السمك كانت موجودة على الساحل البجائي كله لكن نجهل أسماء أجناس السمك التي كانت تصطاد ولكن كان موجود حوت جيجل كثير العدد متناهي الطيب، والقدر وأما بالنسبة لمدينة المسيلة كان بها سمك صغير فيه طرق حمر حسنة لم يرى على وجه الأرض المعمورة سمك

1 – محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ-10هـ/12م-16م)، المرجع السابق، ص224.

2 – رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص ص 134-135.

3 – القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص113.

على صفته وأهل المسيلة يفتخرون به ويكون مقدر هذا السمك من شبر إلى ما دونه وربما اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل إلى قلعة بني الحماد[1] والغالب أن وفرة الحيوانات البحرية التي تمثلت أساسا في الحيتان والأسماك بأنواعها المختلفة هي التي دفعت بسكان بجاية ونواحيها إلى ممارسة حرفة الصيد والتفنن فيها سواء بغرض المتعة أو الإستفادة من لحومها ويبدوا أن بجاية قد اشتهرت بجودة أسماكها وحيتانها ذات الأثمان الرخيصة وخاصة أنه يعد ميناء بجاية أهم مرفأ للصيد البحري في إمارة بجاية[2]

ب) **صيادة المرجان:** إن صيدة المرجان توجد بكثرة بمرسى الخرز وهو أجمل جميع المرجان الموجود بسائر الأقطار مثل ما يوجد منه بمدينة **سبتة وصقلية** ويقصد التجار من سائر البلاد إلى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات هذا بالإضافة إلى أن معدن هذا الجوهر في هذه المدينة مخدوم في كل سنة ويعمل به في كل الأوقات الخمسون قاربا والزائد والناقص وفي كل قارب العشرون رجلا وما زاد وما نقص وكان يصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب تدار هذه الآلة في أعلى المراكب فتلتف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان[3] وخاصة أن هذا الأخير ينبت كالشجر في الماء ثم يستخرج في نفس الماء بين جبلين عظيمين[4].

1 – رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص 135.

2 – محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ-10هـ/12م-16م)، المرجع السابق، ص224.

3 – رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص 136.

4 – أبو القاسم النصيبي المعروف بابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار المكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1996م، ص77.

المبحث الثاني: الصناعة والحرف

إن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أوعبا لها وأكمل لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته[1].

لم يقتصر نشاط البجائيين على الزراعة فحسب بل امتد إلى النشاط الصناعي وخاصة انها كانت تتوفر على المواد الاولية التي تدخل في الصناعة سواء تعلق الأمر بالأخشاب المستعملة في صناعة السفن أما بالنسبة للصوف والذي كان يستعمل في صناعة المنسوجات وكذلك كانت بجاية تتمتع بالصناعة الحديدية وذلك لوفرة الحديد بها زيادة على ذلك توفرها على مادتي الزفت والقطران[2].

هذا بالإضافة إلى أن الشاطئ الساحلي الذي كانت تتمتع به الدولة الحمادية والذي كان بدوره عاملا من عوامل قيام بعض الصناعات[3]وكذلك تعتبر بجاية دار الصناعة لإنشاء الأساطيل للقتال وإنشاء السفن الحمالة والمراكب النقالة وخاصة أنه كان الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود[4]وكانت أيضا مدينة بونة تتوفر على الخشب والحديد وكذلك مرسى الخرز الذي يتوفر فيه المرجان وتوفر الملح ببسكرة عاصمة الجنوب كما وجد البرونز والفضة اللذان أمكن استغلالهما في صناعات كثيرة ووجد أيضا القطن وقصب السكر والكتان وغيرها من المحصولات الزراعية القابلة للتصنيع وبهذا كان لبجاية الدور الكبير في الحركة الصناعية على العهد الحمادي وبشكل عام شهدت بجاية نوعا من الحركة الاقتصادية لاسيما بعد ترويض القبائل العربية والتخلص من آثار موقعة سبيبة

1 – عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في التاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1421هـ-2001م، ص501.

2 – مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص58.

3 – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص224.

4 – الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م، ج2، نقله إلى العربية، حماد الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص108.

ازدهارا فاق رقي القلعة بلا شك وهي بذلك أصبحت نشيطة صناعيا وخاصة الصناعات التي لها علاقة بالبحر نظرا لكونها أهم مرفأ حمادي[1].

وإذا كانت حرفة الفلاحة قد احتضنتها الأرياف فإن الصناعة قد صنعت المجتمع في مدنه وحواضره الكبرى مثل بجاية والقلعة وغيرها[2].

ونستشهد بما ذكره الادريسي في هذا المجال: "ومدينة بجاية بها من الصناعات والبضائع ما ليس في كثير من البلاد وبها دار للصناعة وإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي لأن الخشب في أوديتها وجبالها موجود بكثرة ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبها كذلك معادن وصناعات لطيفة".

ونظرا للنهضة الحضارية التي عرفتها بجاية أثناء الحكم الموحدي والحفصي انعكست على الجانب الصناعي الذي تميز بصناعات عديدة وفي مختلف المجالات وأثرت كذلك جهود البجائيين في ازدهار الصناعة من خلال توفيرهم الأمن وجلبهم الكثير من الخبرات واليد العاملة من الاندلس والمهندسين المتخصصين في المجال الزراعي والري[3]

وعلى هذا الأساس تنوعت الصناعات بمدينة بجاية واختلفت من صناعة لأخرى ولعل أبرزها ما يلي:

1- **الصناعة المعدنية:** في النصف الأول من القرن (6هـ-12م) عرفت البلاد الشرقية بصناعاتها المعدنية فبجاية كغيرها من المدن الشرقية غنية بالمواد المعدنية البالغة الجودة حيث اشتهرت بصناعاتها المعدنية فكانت تشارك تونس في صناعة الأسلحة والسكة[4].

1 – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 226.

2 – جلول صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق5هـ-6هـ/11م-12م، بحث لنيل شهادة ماجيستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف، محمد بوركبة، جامعة وهران، الجزائر، 1435-1436هـ/2014-2015م، ص42.

3 – محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ-10هـ/12م-16م)، المرجع السابق، ص224.

4 – أمينة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين، بحث لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف، عبدلي لخضر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 1428هـ-1429هـ/2007-2008م، ص47.

وعلى هذا الأساس نجد الحديد متوفر كل من مجانة وبونة وحتى بجاية[1] وخاصة أن سكانها عملوا على استثمار مناجم الحديد ذات الانتاج الجيد[2]وكذلك الفضة والرصاص والأثمد بمجانة والنحاس واللزورد بجيجل والحص بمتوسة على حوالي 12 ميلا من بجاية وبجانب هذه المعادن نذكر الملح وهذا الأخير كان يوجد بالقرب من بسكرة جبل الملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل وخاصة أنه كان **عبيد الله الشيعي** وبنوه يستعملونه في أطعمتهم[3]، وكذلك نجد مدينة **كوكو** توفر بها صناع مهرة يجيدون صنع السيوف والخناجر والرماح يجعلونها على هيئة قضبان طوال يضعونها في قدور من طين أو غدران أو يسبقونها بالغطس في الماء والرمال والأعشاب ثم يعيدون إنضاجها فتكون لها صلابة الحديد[4].

2- صناعة الخشب:

عرفت صناعة الخشب ازدهار ملحوظا لأن الخشب كان في أوديتها بكثرة ويجلب إليها من أقاليمها[5]والمتمثل في مختلف أنواع الأشجار الغابية مثل: الدردار، الفلين، السرو، الساج، العرعار، الصنوبر، البلوط، السنديان، الأرز، الزان، الطرفاء[6]، البطم، الزيتون، البقس، العناب وغيرها التي تدخل في شتى أنواع الصناعات المنزلية منها: الموائد، الأبواب، القباقب، المغارف، الملاعق، الصحون، العود الذي يقطع عليه اللحم واللوح الذي يمد عليه الكعك والذي يصنع من الخشب الصلب وكذلك المهارس التي تصلح حيث لا تصلح المهاريس النحاسية[7]ويصنعون أيضا من الخشب، الصناديق والكراسي[8].

1 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص136.
2 – عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص59.
3 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص136.
4 – مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 198.
5 – مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص226.
6 – مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 198.
7 – جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص20.
8 – أحمد سليماني، المرجع السابق، ص117.

وأما بالنسبة للصناعات الأخرى المتمثلة في صناعة السفن الموجودة في بجاية بونة ومرسى الخرز حيث كانت تعتبر بذلك دار الصناعة المراكب والسفن والحرابي[1] حيث كان ينشأ بمرسى الخرز السفن والمراكب الحربية التي تغزي بها إلى بلاد الروم[2].

وكذلك صناعة القوارب والأسلحة الحربية والأقواس التي تصنع من شجر الزان خاصة[3] واستعمل أيضا أمراء بني حماد المقصورة لأداء الصلاة في الجامع بمعزل عن المصلين وبفضل فخامتها وتجديد نمطها تدل المقصورة **المعز ابن باديس** على التحكم البارع في فن النقش على الخشب وتعتبر أيضا الشبابيك المصنوعة من الخشب مثالا جديدا لنجارة المشربيات[4] بإضافة إلى ذلك أنه للخشب منافع جمة فأولها يتمثل في أن يكون وقودا للنيران في معاشهم وعصيا للاتكاء والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم لما يخشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر فأما بالنسبة لأهل البدو فيتخذون منها العمد والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسي والسهام لسلاحهم والحضر يستعملونه لسقف بيوتهم والإغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم[5]

3- صناعة السفن:

كانت من بين المناطق المشهورة بهذه الصناعة كل من بجاية وبونة ومرسى الخرز إذ يقول الإدريسي عن بجاية أنها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي[6]

ويذكر صاحب كتاب الاستبصار أنه كان ببجاية داران لصناعة المراكب وإنشاء السفن[7]

وفي عهد الموحدين توسعت الصناعة البحرية منذ عهد **عبد المؤمن ابن علي** حيث كان الاتساع رقعة الدولة التي امتدت من طرابلس شرقا إلى البحر المحيط غربا ومن حدود غانا وكوكو في السودان الغربي جنوبا إلى

1 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص136.
2 – أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص55.
3 – مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 198.
4 – الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص438.
5 – عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص514.
6 – مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص56.
7 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص136.

جبال الشارات شمالا حيث أولت أهمية بالغة في نمو هذه الصناعة ولم يجد **عبد المؤمن** صعوبة في الحصول على الخامات اللازمة لبناء السفن فالأخشاب الضرورية متوفرة بالقرب من بونة وجبال القبائل الصغرى وبجاية بالمغرب الأوسط وكذلك كانت القوى البحرية لشعوب البحر المتوسط منذ أقدم العصور كانت تعتمد على هذه الغابات في العدوتين والتي يتوفر فيها الأخشاب الصالحة لبناء لهياكل السفن والنصاري والسطح والمجاديف.

وأما بالنسبة لخامات المعادن من الحديد والصلب فكانت متوفرة في مناطق بجاية وبونة وغيرها وكذلك الزفت والقطران فيجلبان من جبال بجاية وكان للموحدين مصانع للسفن على طول مراسي المملكة بعدما تسنى لهم استخدام دور الصناعة المنتشرة على طول سواحل المغرب والأندلس وخاصة ما خلفه الحماديون في بجاية التي كان لها دار لصناعة الأساطيل[1].

وبإضافة إلى ذلك أن **عبد المؤمن ابن علي** عندما كان متوجها عام 546 هـ إلى فتح بجاية أمر ببناء الأساطيل وجمع العساكر وبادس والريف إلى بلاد الجزائر ووهران وهنين وعنابة وبجاية إلى تونس[2].

4- الصناعة الجلدية:

كانت لهذه الصناعة مراكز خاصة بها من بينها قرطبة لكنها تلاشت في العصر الموحدي وتصدرت مكانها بجاية التي برع سكانها في صناعة الأحذية المختلفة الأشكال كما وظفوا أنواع الجلود لمختلف الحيوانات كالبقر والغنم والماعز وغيرها[3].

5- الصناعة النسيجية:

كانت صناعة الغزل والنسيج صناعة قوية ومتكاملة في مملكة بني حماد وكانت اهم المواد المستعملة في هذه الصناعة التي تمارسها النساء عادة هي الصوف والقطن الذي تنتجه حقول المسيلة ونقاوس وطبنة بكثرة والكتان

1 – توفيق مزاري عبد الصمد، النشاط البحري بالغرب الاسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين، ج2، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1432هـ-2011م، ص ص 400-401.

2 – نفسه، ص401.

3 – أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص46.

الذي كانت زراعته منتشرة في منطقة بونة وكان إنتاج صناعة القطن رائجا بحيث اشتق من هذه المادة اسم للتجار الذين يتعاملون فيها (القطان)[1].

حيث كان أهل بجاية متخصصين في صناعة العمائم[2]إذ أن العمائم الفاطمية كانت تشبه عمائم البجائيين[3] وخاصة أنهم كانت لديهم عمائم شرب مذهبة يغالون في أثمانها وتساوي العمامة منها خمسمائة دينار وستمائة دينار وأزيد وكانوا يعمونها بأتقن صنعة فتأتي كأنها تاج وكان ببلادهم صناع لذلك وكان الصانع يأخذ على تعميم عمامة منها دينارين وأزيد وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم يسمونها الرؤوس يتعممون عليها تلك العمائم[4] وكذلك تعتبر العمائم الفاطمية مرسومة على قطع من الخزف أو منقوشة في ألواح خشبية معروضة في المتحف الإسلامي بالقاهرة حيث نستطيع من خلالها تخيل هذه العمائم.

وبجانب هذه العمائم كانت هناك ملابس غريبة أخرى كانت تصنع ببجاية وقد أشار إليها البيدق وهو يحدثنا عن إقامة ابن تومرت بالعاصمة الحمادية وكان ينهي الناس عن الأقراق الزرارية ولباس الفتوحيات للرجال حيث كان يقول لهم: "لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام" ومنها أيضا شواشي الخز والتي تحدث عنها ابن القطان فقال أن ابن تومرت عند وصوله إلى بجاية "لقي الصبيان في زي النساء بالضفائر والأضراس والزينة وشواشي الخز"[5]

6- الصناعة الفخارية والخزفية:

لقد عرفت كل من الصناعة الفخارية والخزفية تقدما كبيرا خصوصا في مدينتي القلعة وبجاية كما تشهد بذلك القطع التي اكتشفت في آثار المدينتين حيث أن اللون المتغلب في زخارف هذه البقايا هو اللون البني

1 – اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص239.

2 – مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، المصدر السابق، ص129.

3 – مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص57.

4 – محمد ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص81.

5 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص137.

والأخضر وأما بالنسبة للون الأصفر فهو قليل الظهور بينما لم يظهر اللون الأزرق في القطع التي يعود تاريخها إلى فترات متأخرة نسبيا[1].

هذا بالإضافة إلى أنه اكتشف المنقبون في بجاية مجموعة ثمينة من قطع الفخار المطلي والذي يرجع تاريخه إلى العصر الحمادي وهذه المجموعة تسود في نقوشها العناصر الهندسية ومختلف أشكال النبات والأزهار والملاحظ أنها في مجموعها تحمل طابعا فنيا وثيق الصلة بالنزعة السائدة في تنميق المجموعة المماثلة التي اكتشفت في القلعة ما شكل تقدما محسوسا لهذا الفن من حيث التنوع الزخرفي وانسجام الألوان وهذا التشابه بين الأسلوب البجائي والأسلوب القلعي يبدوا أمرا طبيعيا إذ اعتبر أن العنصر العقلي كان أساسا لنهضة بجاية الفنية وحتى الأدبية وهذا جعل المستشرق **جورج مارسي** يقوم بوضع دراسة عن هذه المجموعة الخزفية التي يحتفظ بها المتحف الجزائر وحتى متحف قسنطينة[2].

وكذلك كان البجائيون يستعملون الفخار خصوصا لصنع الأواني ومن بين هذه الأواني نذكر منها الصحون الكبيرة المسطحة القعر وصحانا وجرارا مزخرفة بزخارف مسحوبة أو مرسومة بالريشة أو مطبوعة حيث أن الزخارف المسحوبة ترسم على الطين قبل أن يبس بآلة حادة أو بآلة على شكل مشط أو قلم من القصب فالآلة الأولى تحفر خطا مثل الخط الذي يحفره المحراث والمشط يرسم ثلاثة أو أربعة خطوط متوازية بالنسبة للقلم فيرسم خطا بارزا حيث كانت الزخرفة المطبوعة ترسم بخاتم يوضع على الطين قبل أن يبس وفي بعض الأحيان كانت الزخرفة المسحوبة أو حتى المطبوعة مغطاة بمينا أخضر أو أبيض أو أصفر أو أسمر[3].

1 – اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص241.

2 – نفسه، ص198.

3 – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص ص 274-275.

وعلى هذا الأساس قد أبدع أهل بجاية كثيرا وخاصة بصنع الأدوات المنزلية المتمثلة في: القلال، الجرار، الأباريق، الأقداح، الأطباق، الصحون، الزير، الكيزان، الكؤوس، وصنعوا إلى جانب ذلك الكوانين لمواجهة برد الشتاء[1].

وعن التحدث عن خزف كل من القلعة وبجاية انطلاقا من اكتشاف ورشات محلية ترجع إلى تاريخ مبكر استطاع الأستاذ **قولفين** تحديد أماكنها بالقلعة ويرى بأن الصناعات الخزفية المنتشرة فيها جلها من أصل مشرقي والواقع فإن الحماديين الذين كانوا قد ارتبطوا بالفاطميين في عدة مناسبات قد تأثروا بهم في صناعة الخزف وأن ظاهرة انتقال الخزافيين من مكان لآخر حاملين معهم تقاليد بلادهم وأساليبهم كانت مألوفة بين البلاد الإسلامية، وعلى هذا فإن اعتبار هجرة الفنانين وتنقلاتهم تعتبر سبب في التأثير المشرقي على خزف المغرب الإسلامي عامة والخزف الحمادي بصفة خاصة والتي استمرت حتى أواسط القرن السادس هجري منتصف القرن الثاني عشر ميلادي، وهذا يعني بأن الخزافين المشارقة قدموا من المشرق واستقروا بإفريقية وغيرها من بلاد المغرب الأوسط كما هو الشأن بالنسبة لمصر وسوريا حيث فتحوا بذلك ورشات عمل وأنتجوا فيها أواني خزفية حسب أساليبهم المحلية الخاصة[2]

7- صناعة الزجاج:

اتخذت الأواني الزجاجية الاسلامية أشكالا كثيرة ومتنوعة فمنها ما هو على هيئة كروية أو كمثرية ومنها ما هو مضلع أو مسطح وهكذا دواليك.

ينقسم الزجاج الحمادي إلى عدد من الطرز سواء من حيث نوع الزجاج وأسلوب الزخرفة والتشكيل ولاشك أن الزجاجين قد صنعوا أنواع كثيرة من الأواني الزجاجية مثل القنينات والكؤوس وبالإضافة إلى أنه قد عثر في موقع صبرة المنصورية على مجموعة رائعة من الأواني المصنوعة من الزجاج المنقوش والمشتملة على أقداح وقوارير

1 – مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص201.

2 – صالح يوسف بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الاسلامي دراسة تاريخية وحضارية، المرجع السابق، ص360.

عطور مماثلة لأواني المصرية التابعة لنفس الفترة ولاشك أن هذا الفن كان مزدهرا في قلعة بني الحماد وحتى بجاية وهما المدينتان المرتبطتان ارتباطا وثيقا بإفريقية في كافة الميادين الفنية وقد كانت الكؤوس والأقداح والقوارير وأوعية العطور المقولبة أو المنفوخة ومزدانة بزخارف منقوشة بالمدقة ومرصعة بخيوط الزجاج ومزخرفة في أغلب الأحيان بصور الحيوانات وهنا أيضا يطغى التأثير المصري[1].

وقد سمحت الحفريات التي أجريت في القلعة بني الحماد وصبرة باكتشاف بقايا درا بزينات مصنوعة من الجص ومرصعة بالزجاج الملون وببعض قطع من القوارير وعرى الأباريق وأعناق الأواني والقعور المزركشة أحيانا بزخارف مقولبة في شكل مجوف ولون هذا الزجاج في الغالب أبيض وأحيانا أزرق وأخضر وأحمر.

وكذلك عثر على قطعة من وعاء مصبوغ في صلب الرخام الأبيض والأسود حيث عثر على مثل هذه القطع في بجاية أيضا[2].

8- صناعة الشمع:

من العادات الطريفة التي اشتهرت بها بجاية في أوروبا إبان العصر الوسيط ألا وهي صناعة الشمع حيث كانت بجاية تصدر منه الكثير حتى أصبحت بمثابة شمعة كما جاء ذكرها في القواميس الفرنسية تحمل اسم المدينة باللغة الفرنسية حتى الآن إنه اسم La Bougie بوجي وهو مشتق من اسم بجاية[3].

حيث يصنع هذا النوع من الشموع ولافونتين الذي يحدد من جهة ثانية أن الشمعة تصنع من شمع النحل حيث يخطر إلى الذهن فورا ذلك الجبل القريب من المدينة والذي تنتشر فيه خلايا النحل وكذلك كانت بجاية تصدر شمع النحل باتجاه جنوة في إيطاليا حيث توجد مصانع هامة للشموع وفي ذلك الوقت كان المشعل والشمع

1 – الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص439.

2 – نفسه، ص440.

3 – أحمد سليماني، المرجع السابق، ص109.

ومصباح الزيت الوسيلة الوحيدة لإنارة في الليل حيث كانت هذه الصناعة هامة جدا والشموع المصنوعة من شمع النحل كانت بدون أي ريب الفرع الفخم في هذه الصناعة[1].

9- صناعة الورق والوراقة:

إن صناعة الورق (الكاغد) والذي كان يصنع من الكتان قد انتشرت في عهد الأغالبة خصوصا في القيروان وتونس وأن هذه الصناعة قد نمت وترعرعت في عهد الزيريين وانتشرت من إفريقية إلى صقلية وإيطاليا الجنوبية ويبدو أن من البديهي أن نفترض أنها كانت منتشرة في ولايات بني الحماد ولاسيما في عهد بجاية[2]وقد انتشر أيضا الوراقون ببجاية.

10- الصناعة التجميلية:

اشتهرت بجاية بإنتاج زيت الزيتون البالغ الجودة والذي كان يستخلص منه أنواع من الزيوت منها ما يستخدم في الطهي ومنها ما كان يصنع منه الصابون[3].

المبحث الثالث: المالية والسكة

السكة هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صورا أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددا وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدولة وهي

1 – مؤلف مجهول، بجاية، المرجع السابق، ص08.

2 – اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص240.

3 – أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص47.

وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة[1].

- **ضرب السكة الحمادية:**

لاشك أن الحماديين إلى غاية عهد **يحي ابن العزيز** لم تكن لديهم نقود مستقلة تحمل طابع دولتهم السياسي والمذهبي بدليل أنه لم توجد في المصادر التاريخية إشارة تفيد أن أمراء بني حماد كانوا يضربون المسكوكات بأسمائهم كما أن التنقيبات الأثرية التي أجريت في القلعة وغيرها لم تطلعنا بنماذج منها نستطيع من خلالها معرفة طراز نقودهم ومعنى ذلك أن العملات السائدة المتداولة عندهم في التعامل اليومي والتبادل التجاري كانت هي نقود الفاطميين أو العباسيين كما هو الشأن عند بني الزيري والواقع أن أمراء بني الحماد كانوا يضربون نقودهم بأسماء **بني عبيد** إعلان لتبعيتهم السياسية وحتى الاسمية على الأقل كما فعل الزيريون في إفريقية ويؤكد هذه الحقيقة **عبد الرحمان ابن خلدون** في معرض حديثه عن سكة **يحي ابن العزيز** آخر أمراء ابن حماد إذ يقول:

"واستحدث السكة ولم يحدثها أحد في قومه أدبا مع خلفائهم العبيديين"[2]

انطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية فإننا نشير إلى طراز الفاطميين في السكة فقد كان هذا الطراز يتكون من ثلاثة أنواع من النقود: الدينار الذهبي وأجزاءه والدرهم الفضي وأجزاءه المتمثلة في نصف الدرهم والقراط وربعه وثمن الدرهم والخروبة ثم الفلس النحاسي أو البرونزي الذي يأتي في الدرجة الثانوية والظاهر أن بني حماد لم يستعملوا الدنانير الذهبية إلا في مناسبات نادرة جدا وكذلك السكة الفاطمية تتميز عن غيرها بما تحمله شعارات تشير إلى المذهب الاسماعيلي الشيعي المخالف تماما لشعارات السنية التي كانت تسجل على النقود الذهبية والفضية.

1 – عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 322-323.

2 – صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، بحث لنيل درجة الدكتوراه الدور الثالث في الآثار الاسلامية، إشراف، رشيد بورويبة، جامعة الجزائر، الجزائر، 1982م/1983، ص507.

بالإضافة إلى ذلك هناك نقود قد عثر عليها بقلعة بني حماد كلها من الدراهم والفلوس تحمل اسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وقد وصلت في حالة رديئة لما أصابها من كسور وتآكل في هوامشها الكتابية فاختفت العبارات التي تشير إلى مكان وتاريخ الضرب.

وأما بالنسبة للدراهم الفضية الفاطمية بالمغرب فقد كانت عباراتها المسجلة عليها هي نفسها على الدنانير ويبدوا أن السكة الفاطمية على اختلاف أنواعها استمر التعامل بها كعملة رسمية في المجتمع الحمادي سواء كان ذلك في القلعة أو بجاية بعد انتقالهم إليها.

- **سكة بجاية على العهد الحمادي ذات الطراز العباسي:**

إن الحماديين في فترة حكمهم الأخيرة وخصوصا في عهد آخر أمرائهم **يحي ابن العزيز** إلى رفض التعامل بالسكة الفاطمية واستبدلها بسكة جديدة تمثل ملك وشخصية بني حماد[1]وعلى هذا فإن **عبد الرحمان ابن خلدون** يصف لنا هذه المسكوكات قائلا: "إن سكته في الدينار كانت ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه فدائرة الوجه الواحد: "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون" والسطور: لا إله إلا الله محمد رسول الله، يعتصم بحبل الله يحي ابن العزيز بالله الأمير المنصور ودائرة الوجه الآخر: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاثة وأربعين وخمسمائة وفي سطور: الإمام أبو عبد الله المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي"[2].

أما بالنسبة للخصائص التي امتاز بها دينار **يحي ابن العزيز** فقد ضرب على طراز الدنانير العباسية سواء من حيث الشكل أو الحجم ولكن يختلف عنها من حيث الشعار الديني الجديد المسجل في كتابة هامش الوجه واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ولكن هذه الآية الكريمة لم تسجل ككتابة نقدية من قبل على أي نقد كان.

1 – صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المرجع السابق، ص507.

2 – صالح يوسف بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الاسلامي دراسة تاريخية وأثرية، المرجع السابق،ص247

ومن المميزات التي امتاز بها دينار يحي ابن العزيز ذكر اسمه ولقبه صراحة في كتابة مركز الوجه وبذلك يعتبر أول أمير حمادي ينقش اسمه ولقبه على النقود منذ تأسيس الدولة ولعل أبرز هذه المميزات جميعها ذكر مكان وتاريخ الضرب في كتابة هامش الظهر وتعتبر هذه أول اشارة إلى وجود دار السك ببجاية في عهد الحماديين وبهذا فإن الحماديين قد استعملوا في الفترة الأخيرة السكة العباسية ذات الطراز الحمادي المتميز[1].

- **سكة بجاية على العهد الموحدي:**

منذ تأسيس دولة الموحدين اتخذوا عملة نقدية من الذهب والفضة وتعاملوا بها مع الناس تعبيرا عن كيانهم السياسي والاقتصادي وبينت لذلك دور السكة[2].

حيث اهتموا اهتماما كبيرا بصناعة السكة التي كانت تقوم على أساس الدينار والدرهم حيث أن دار السكة لم تكن تضرب عملة متحدة الوزن طوال هذا العصر حيث أنها ضربت عملات اختلفت بتعاقب غير واحد من ملوك الموحدين[3].

وكذلك امتاز عصر الموحدين بظاهرة انتشار دور السكة وتزايد عددها خصوصا بعد ضم الأندلس وتوحيد كل أقطار المغرب الاسلامي وأهم دور السكة ببلاد المغرب في العهد الموحدي في مراكش وفاس وتلمسان وبجاية وأما بالنسبة للأندلس فإنها وجدت في المرية وغرناطة والجزيرة ودانية وبلنسة وحافظت المسكوكات الموحدية على مستوى الرفيع في دقة النقش ونقاوة الذهب وكان الدينار يزن حوالي 4 غرامات أي من الذهب 3,96 غراما[4].

1 – صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المرجع السابق، ص508.

2 – محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ/10هـ-12م/16م)، المرجع السابق، ص230.

3 – محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1397هـ-1977م، ص257.

4 – محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ/10هـ-12م/16م)، المرجع السابق، ص ص 230-231.

هذا بالإضافة إلى أن نقود الموحدين الجديدة تختلف في الشكل والمحتوى النقود المرابطية والحمادية وحتى الزيرية حيث امتازت بوجود الدينار والدرهم المؤمني والدينار المؤمني عبارة عن قطعة ذهبية مستديرة الشكل يتوسطها مربع يقسمها إلى أربعة أقسام[1].

وبذلك أصبح للموحدين عملة قوية راسخة تميزت بالدينار اليوسفي واسم الخليفة الثاني **عبد المؤمن** منقوش عليها حيث اشتهر هذا الدينار في عالم البحر المتوسط[2].

وفيما يتعلق بالدراهم فهي مربعة الشكل بخلاف الدراهم السابقة التي كانت مستديرة وتتميز بعدم ذكرها اسم الخليفة ولا تاريخ الضرب وتحتوي على نص كتابي واحد وزرع على ثلاثة أسطر أفقية[3] وإن دراهم الفضية كانت أقل استعمالا وكانت تشبه الدنانير الذهبية من حيث العبارات والنقش الموجود عليها كما ظهر أثناء الموحدين الدرهم الفضي المربع الشكل بالموازاة مع الدينار الذي عرف تطورا في عهد الخليفة الموحدي "**يعقوب المنصور**" عام 1199م

حيث وصل وزنه إلى 4,72 غراما حيث اكتسب الدينار الذهبي الموحدي شهرة عالمية وسمعة اقتصادية جيدة حيث غدت العديد من دول العالم الاسلامي وحتى المسيحي تحبذ التعامل به وتتنازع من أجل الحصول عليه ورجع ذلك إلى نقاوة الذهب فيه بفعل السيطرة الموحدين على جميع المسالك الغربية التي تربط بلاد المغرب والأندلس من جهة، وبين السودان الغربي من جهة ثانية لاسيما بعد أن تمكنوا من توحيد بلاد المغرب الاسلامي كله والأندلس وتصدوا لمملكة غانا فاحتكروا تجارة الذهب عبر سجلماسة وادغشت[4].

1 – صالح بن قربة، عبد المؤمن ابن علي موحد بلاد المغرب، المرجع السابق، ص149.

2 – نجيب زيبب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، تق، أحمد ابن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1995م، ص339.

3 – صالح بن قربة، عبد المؤمن ابن علي موحد البلاد المغرب، المرجع السابق، ص150.

4 – محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ/10هـ-12م/16م)، المرجع السابق، ص231.

- **سكة بجاية على العهد الحفصي:**

بعد سقوط الخلافة المؤمنية أقدم الحفصيون على ضرب السكة التي كانت في معظمها متشابهة بالدولة السابقة في الشكل والحجم وحافظوا على الشعار المعروف "**المهدي خليفة الله**" حيث عرفت بجاية في ذلك العهد الدينار الذهبي والدرهم الفضي وقد كانت العملة الذهبية تزن في معظمها 4,72 غراما وكذلك استخدم البجائيون على ما يبدوا العملة الفضية أو الدرهم بجانب الدينار الذهبي ووزنه حوالي 1,5 غراما.

وحافظ الحفصيون على وزنه وشكله الدائري والمربع منذ العهد الموحدي استخدم الحفصيون والبجائيون في عهد "**المستنصر بالله**" عملة نحاسية سميت **الحندوس** وكان صنع النقود وضرب السكة من احتكار الدولة بينما تعددت دور الضرب وتوزعت على أهم وأكبر المدن والحواضر وفي مقدمتها بجاية باعتبارها عاصمة الأجزاء الغربية من الدولة الحفصية وحاضرة إمارة مستقلة ويبدوا أن تداول النقود الأجنبية كان حرا بالمملكة الحفصية بما فيها بجاية إلى جانب العملة المحلية إلا إذا قررت الدولة في بعض الحالات الاستثنائية التخفيض من قيمتها عندما تشعر أنها فاسدة وتخشى تعرض اقتصادها للخطر وكما تجدر الإشارة إلى أن الأوروبيين المتعاملين تجاريا مع بجاية وغيرها كانوا في الكثير من الحالات يعتمدون على العملة الحفصية للحصول على كميات كبيرة من الذهب.

وكانت تتمثل مهمة خزينة الدولة هي جمع الضرائب والمكوس المختلفة على الأراضي الزراعية بالأرياف وعلى قبائل البدو وعلى المبيعات الحرفية بمختلف الأسواق حيث كان ديوان البحر مكلفا باستخلاص الرسوم المفروضة على البضائع وسلع الأجانب الوافدين عن طريق البحر ومهما كان الأمر فإن خزينة الدولة الحفصية قد تعززت بمئات الآلاف من الدنانير الذهبية في القرن 9هـ/15م وذلك من خلال اسهامات البجائيين والأجانب على حد سواء[1].

1 - محمد الشريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، المرجع السابق، ص ص 56-58.

وعرف المشرف على قطاع المالية في الدولة الحفصية بصاحب الأشغال والموظفون معه يلقبون بالعمال والظاهر أن هذه التسمية موروثة كذلك عن العهد الموحدي باعتبار أن الحفصيين ببجاية وغيرها هم ورثة الموحدين[1].

1 – محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ/10هـ-12م/16م)، المرجع السابق، ص 233.

المبحث الأول: عوامل ازدهار النشاط التجاري وأهم الطرق التجارية

1. عوامل ازدهار النشاط التجاري:

إن التجارة هي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع، أو حيوان، أو قماش حيث ذلك القدر النامي يسمى ربحا[1].

لكن يجب أنه لا يفهم مما تقدم أنه غاية التجارة هو الربح في حد ذاته واكتنازه سواء كان هذا الربح سلعة أم نقودا بل أنها تمكين التاجر من اقتناء ما يعوزه من الخيرات[2].

فإن التجارة كانت تعتبر من بين أهم الأنشطة الاقتصادية في الدولة الحمادية على الإطلاق حيث ساعدت الظروف السياسية والجغرافية وحتى الاقتصادية على ازدهار التجارة الحمادية[3]وخاصة بعد تأسيس بجاية حيث أصبحت في القرن 12 م أهم مركز تجاري حرفي سياسي في المغرب حيث استفادت ولمدة طويلة من الاوضاع المواتية عالميا في الشرق بعد عدة محاولات للتوسع عادت العلاقات مع الزيريين إلى الجمود وقد استفادت أيضا من الاضطرابات التي أدى إليها وصول الجنود الهلاليين الذين أرسلهم الفاطميون لمعاقبة الزيريين وكان هؤلاء قد قطعوا صلاتهم بالقاهرة عام 1047م وعلى هذا قد استفادت بجاية من هذا كله ليقيموا علاقات جيدة مع الفاطميين حيث هذا الظرف المواتي أعطى الفرصة لكل من **القلعة وبجاية** لاحتلال مكانة القيروان التجارية في المغرب[4].

وكذلك كان لقدوم جيش المغربي إلى مصر مع **المعز لدين الله الفاطمي** أثر كبير في فتح نوافذ علاقات تجارية مع المشرق العربي ومصر بالذات حيث توافد على مصر عدد كبير من البربر وأقاموا في الاسكندرية وما

1- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص494.

2- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص125.

3- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص226.

4- عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص58-59.

حولها وخاصة أنه كان للطرق البرية والتي أصبحت منتظمة وواضحة منذ رحلة **المعز** إلى مصر أثر في تسهيل العمليات التجارية[1]وكذلك بحكم موقعها الاستراتيجي والذي أعطاها أهمية اقتصادية وتجارية برا، وبحرا[2].

وإلى جانب الموقع أيضا كانت تتمتع بالشاطئ طويل على البحر الأبيض وكذلك المرافئ والأسواق والاتصالات التجارية التي نشطوا فيها كل هذه العوامل مكنتهم من مزاولة تجارة ناجحة سواء في داخل المغرب أو خارجه دون أن ننسى توفر المجتمع الحمادي على الأمن والذي يعتبر فرصة لازدهار الزراعة وبعض ألوان الصناعة[3].

ومن بين العوامل أيضا التي أدت إلى ازدهار التجارة وخاصة من ناحية الغرب وببروز دولتي المرابطين ثم الموحدين استفادت بجاية من الفوضى التي عمت المغرب الأوسط، وإسبانيا من جراء تمزق الدولة الأموية وهنا مرة أخرى ستحتل مدن الحماديين مكانة مدن المغرب الأوسط خاصة **فاس**[4] **وسيرتا** كوسيط بين إفريقيا والغرب الاسلامي وعلى هذا كله قد استفادت بجاية من ارتداد المسلمين إلى أوروبا ومن هجمات المسيحيين باتجاه البحر المتوسط لتصبح بذلك واحدا من أهم نقاط الاحتكاك بين العالمين الإسلامي وحتى المسيحي حيث أصبحت كل من **القلعة وبجاية** بالتناوب منطلقا لأكبر الحركات التجارية العالمية في ذلك العصر وكانت بذلك كل مدينة تسحب الثروات ثم تعيد توزيعها في المغرب، والمشرق وإفريقيا الغربية[5].

ومن أبرز العوامل التي أدت إلى ازدهار النشاط التجاري ببجاية هو انفتاحها على المتوسط حيث استفادت من أعمال النهب والقرصنة ضد النورمانديين في صقلية تكون عاملا مهما لنمو المدينة التي كانت تعد

1- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص227.

2- عبد الكريم عزوق، الآثار الاسلامية ببجاية إحصاء وجرد وتحليل، مؤسسة الضحى، الجزائر، ط1، 1434هـ-2013م، ص40.

3- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص227.

4- فاس مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد المغرب وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص230.

5- عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص59.

1000000 نسمة وتضم أقلية مسيحية مهمة لدرجة أن البابا **غريغوار الثالث** أرسل إليها مطرانا بإذن من الحماديين[1] وهذا ما سهل عملية النشاط التجاري ببجاية حيث أصبح يقصدها التجار برا بواسطة القوافل وبحرا عبر السفن فكثرة التجار الوافدين عليها جعل مستوى معيشة أهلها مرتفعة[2].

إذ تعتبر بذلك مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها ناقلة وأهلها مياسير التجار[3].

وفي عهد الدولة الموحدية نهض **عبد المؤمن** بالتجارة في الداخل والخارج ولكي يكثر المبيعات الداخلية ويسهل التعامل بين أبناء شعبه ضرب الدرهم ونصفه وربعه وثمنه ثم الخاريب وخاصة أنه لم يضع للتجارة الداخلية ضرائب ولكنه راقبها برجال الحسبة لضبط الموازين وعدم عرض غير الصالح من المبيعات وأما بالنسبة للتجارة الخارجية فقد نشطها ووضع لها انظمة وعقد من أجلها المعاهدات مع كل من البندقية، وجنوة، ومرسيليا[4].

وأما في العهد الحفصي فقد ظهرت مجموعة من العوامل الطبيعية، والإستراتيجية، وحتى السياسية لتجعل من بجاية قوة اقتصادية كان لها الدور في صناعة النخب التجارية فبميناء بجاية وما يقوم به من مبادلات تجارية من وإلى المدينة جعلها تندمج في نظام سوق البحر الأبيض المتوسط في ظل نشاط الحركة التجارية القائمة مع المدن الجنوبية لأوروبا كل ذلك أسهم في خلق جماعة كبار التجار بالمدينة الذين أثروا بشكل أو بآخر في سياستها ببروز نقابات مهنية وتجارية "**كأمين الأمناء**" "**والمشرف**" حيث من النماذج والعينات التي عملت عليها لتحديد النخب التجارية شملت بعض الفقهاء على قلتهم إلا أن ممارسة البعض منهم التجارة تمكننا من استنباط بعض الصور

1- عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص59.

2- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص68.

3- محمد الشريف الادريسي، المصدر السابق، ص ص 90-91

4- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص255.

العلاقة بالسلطة شجعهم على مباشرتها حث الشارع على مزاولتها والمباركة فيها على سبيل المثال نجد الفقيه **محمد عبد الله الشريف (ق7هـ/13م)** على نسب شرفه وعلمه وتقواه وزهده إلا أنه كان يشتغل بتجارة الصوف بسوق بجاية للصوافين وخاصة أن هذه التجارة كان يشتهر بها البجائيون لوجود الماشية بأنواعها حتى أنها كانت تصدر إلى أوروبا بكميات كبيرة وإن مهنة التجارة عدم تعارضها مع الوظائف الحرة كالتدريس الافتاء والقدرة على ممارستها وإضافة إلى ما سبق هي العوامل التي تركت الفقيه **أبو علي عمر السلمي (ق7هـ-13م)** يكون تاجرا فقد كان له دكان لتجارة الحرير والقماش الذي كان يستورد من أوروبا، وبلاد المشرق[1].

2. الطرق البرية:

نظرا لارتباط بجاية بالمعاملات التجارية وبعدد كبير من المدن المشرقية وحتى المغربية حيث كان ذلك يتم عبر مسالك بحرية وحتى برية ومن بينها:

أ- الخط الشرقي ويشمل الخط التجاري الداخلي:

بجاية، سطيف، قسنطينة، الأربس، القصرين، وعند هذه النقطة يتفرع إلى طريقين الأول باتجاه القيروان، ومنه إلى المهدية على الساحل، والثاني باتجاه الجنوب نحو قفصة إلى غدامس باتجاه الصحراء الجنوبية.

ب- الطريق الغربية الداخلية:

وتشمل، بجاية، المسيلة، أشير، تلمسان، سجلماسة، ثم إلى فاس، أو مراكش هذا إلى جانب دول شمال البحر الأبيض المتوسط[2].

1- مسعود بريكة، المرجع السابق، ص305.

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص65.

هذا بإضافة إلى وجود طرق المواصلات البرية والتي تربط بين المغرب ومصر كانت موجودة ومعروفة كذلك وتتمثل في الطريق الأول والذي غالبا كانت تفد قوافل التجارة البرية،

أو قوافل الحجاج[1] وكذلك كان في العهد الحمادي العديد من الطرق التي تخرج من بجاية وقلعة بني حماد وقسنطينة وغيرها من مدن المغرب الأوسط.

1- الطرق التي تخرج من بجاية:

ذكر الإدريسي أن بجاية كانت "قطب لكثير من البلاد" وأفادنا بالمسافة التي يقطعها المسافر الذي يغادر العاصمة الحمادية الثانية ويقصد عدة قرى ومدن[2] فقال: من بجاية إلى ايكجان يوم وبعض يوم ومن بجاية إلى يلزمة مرحلتان وبعض من بجاية إلى سطيف يومان وبين بجاية وباغاية 8 أيام وبين بجاية، وقلعة بشرة 5 أيام وهي من عمالة بسكرة، وبين بجاية وتيفاش 6 مراحل، وبين بجاية وقالمة 8 مراحل، وبين بجاية وتبسة 6 أيام، وبين دورمدين وبجاية 11 مرحلة، وبين بجاية والقصرين 6 أيام، وبين بجاية وطبنة[3] 7 مراحل[4].

2- الطريق من بجاية إلى القلعة:

تخرج من بجاية إلى المضيق إلى سوق الأحد إلى وادي وهت إلى حصن تاكلات وبه المنزل وهو حصن منيع[5]على شرف مطل على جبل بجاية وبه سوق دائمة وبه فواكه ولحوم كثيرة رخيصة وبحصن تاكلات قصور

1- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص230.

2- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص141.

3- طبنة هي بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى ابن نصير فبلغ سيلها عشرين ألفا، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص21.

4- الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه ونشره، هنزي بيريس، الجزائر، دط، 1376هـ-1957م، ص63.

5- نفسه، ص64.

حسان وبساتين وجنات كانت **ليحي ابن العزيز** صاحبها ومن حصن تاكلات إلى تادرقت إلى سوق الخميس إلى حصن بكر وبه المنزل.

وحصن بكر حصين وله مزارع ممتدة والوادي الكبير يجري مع أصلها ويحتويها وفيه سوق وبيع وشراء[1]، ومن حصن بكر إلى حصن وارفوا ويسمى أيضا وافوا[2] إلى القصر وهو قرية وهناك تترك وادي بجاية غربا وتمر في الجنوب إلى حصن الحديد مرحلة إلى الشعراء إلى قصر بني تراكش إلى تاورت وهي قرية كبيرة عامرة على نهر الملح وبها المنزل وشرب أهلها من عيون محتفرة ببطن واد يأتيها من جهة المشرق، وهذا الوادي لا ماء به.

ومن تاورت إلى الباب، وهي جبال تخترق بينها الوادي الملح وهناك مضيق وموضع مخيف ومنه إلى السقائف وهو حصن ثم إلى حصن الناظور وإلى سوق الخميس، وبه المنزل وهذه الأرض كلها تجولها العرب وتضر بأهلها وسوق الخميس حصن في أعلى جبل وبه مياه جارية ولا تقدر العرب عليه أبدا لمنعته وبه من المزارع والمنافع قليل.

ومنه كذلك إلى الطماطة وهو فحص في أعلى جبل ومنه إلى سوق الاثنين وبه المنزل وهو قصر حصين والعرب محدقة بأرضه وفيه رجال يحرسونه مع سائر أهله.

ومنه إلى حصن تافلكانت، وهو حصين إلى تازكا وهو حصن صغير ومنه إلى قصر عطية وهو حصن على أعلى جبل ثم إلى حصن القلعة مرحلة، وجميع هذه الحصون أهلها مع العرب[3].

3- الطرق التي تخرج من قلعة بني حماد:

1- محمود مقديش، المرجع السابق، ج1، ص94.

2- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص60.

3- محمود مقديش، المرجع السابق، ج1، ص95.

كانت بها ثلاث طرق رئيسية تخرج من قلعة بني حماد بإضافة إلى الطريق الذي يؤدي إلى بجاية: اثنتان تتجهان نحو القيروان، والثالثة نحو تنس.

حيث كانت طريق القيروان الأولى تمر بمقرة، وطبنة، ونقاوس، وبلزمة، وقبر مدغوس، وقاساس، وباغاية، ومسكيانة، ومجانة، وقلعة الديك، وسبيبة، ووادي الرمل، وكانت طريق القيروان الثانية تمر بالغدير، ودكامة، وتامسلت، وتابسلكي، وتوبوت وتيجس وقصر الإفريقي وتيفاش وتادميت وملاق وأبة.

أما بالنسبة لطريق تنس[1] فكانت تمر بالمسيلة[2] ونهر جوزة وأشير[3] وسوق هوارة وسوق كرام على نهر شلف ومليانة والخضراء وبني واريفن[4].

4- الطرق التي تخرج من قسنطينة:

كانت ست طرق رئيسية تخرج من قسنطينة: طريق تؤدي إلى باغاية[5] التي كانت تقع على ثلاث مراحل وطريقان تتجهان نحو بجاية إحداهما تمر بجيجل والأخرى بايرس والطريق الرابعة تؤدي إلى مدينة القل، وتمر بقلعة بشر، وتيفاش، وقالمة، والقصرين، ودور مدين، وأما الطريق الخامسة تؤدي إلى سطيف والطريق السادسة فكانت

1- تنس هي مدينة بينها وبين البحر ميلان وهي أيضا مدينة مسورة حصينة وداخلها قصبة صعبة المرتقى ينفرد بسكانها عامل تنس لمنعتها، ينظر: مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، المصدر السابق، ص133.

2- المسيلة مدينة بالجزائر من أعمال قسنطينة ارتفاعها 470 مترا عن سطح البحر وتقع في شمال شط الحضنة وكانت الشيعة تسميها المحمدية، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص66.

3- أشير هي مدينة حصينة بناها زيري ابن مناد الصنهاجي لما استقل بولاية الزاب سنة 324هـ ولهذا سميت بأشير الزيري وكانت تقع جنوب مدينتي قيسارية والجزائر، ينظر: المصدر نفسه، ص63.

4- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص142.

5- باغاية هي مدينة كبيرة عليها سوران من حجر وربض عليه سور وكانت به الأسواق وهي أول بلاد التمر ولها واد يجري إليها من جهة الجنوب، ينظر: محمود مقديش، المرجع السابق، ج1، ص104.

تؤدي إلى جيجل، وتمر بالنهر وحصن فارة وقرية بني خلف وحصن كلديس، وجبل سحاو ووادي شال، وسوق سيدي يوسف، وسوق بني زندوي، وتالة، والمغارة ومسجد بهلول، والمزارع[1].

3. الطرق البحرية:

لقد اتسعت المواصلات البحرية والنشاط التجاري في الناصرية والذي أدى إلى إثراء تجار المدينة والتي أصبحت مستودعا كبيرا للبضائع وصاروا على اتصال بتجار المغرب الأقصى والصحراء وحتى تجار المشرق وزيادة على أنهم لم يقطعوا مواصلاتها مع المغرب الأوسط بل بالعكس من ذلك اضطروا إلى تسهيلها حيث كانوا ينظمون القوافل أو يحمونها بمقتضى اتفاقات مربحة سواء على المستوى المحلي أو على نطاق واسع[2].

بإضافة إلى أن بجاية كانت تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة[3]

كذلك كانت المواصلات البحرية بين كل من الفاطميين والحماديين تكاد تكون مشهورة حيث تشتهر بمجموعة من الموانئ كتنس ومرسى الخرز وبجاية وغيرها وفي مصر الإسكندرية ورشيد أو سفن المغاربة كانت تفد إلى مصر تحمل الحجاج تارة وتقدم أو تبتاع غلات بلاد العرب والحبشة والهند تارة أخرى[4].

أ- الخط الشرقي ويشمل الخط التجاري الساحلي:

يربطها بالاسكندرية بجاية، جيجل، القل، بونة، مرسى الخرز، بنزرت، تونس، سوسة، المهدية، صفاقس، قابس، طرابلس.

1- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص143.

2- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص108.

3- الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق، ص90

4- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص230.

ب- الطرق الغربية الساحلية:

يربط بين بجاية، ومراكش، يمر بميناء دلس، جزائر بني مزغنة، وهران ثم سبتة[1] دون أن ننسى أنه كانت طرق القوافل بين أقطار الشمال الإفريقي وأرض السودان والتي كانت لا تخلوا من السابلة الذاهبة والقادمة حاملة لأنواع البضائع والسلع كما أن السفن كانت تجري بأنهار قسنطينة، ووديانها وفي حوض هذا البحر الأبيض المتوسط للمواصلات والتجارة[2].

كان مرسى بجاية المختفي وراء الرعن الممتد من رأس كربون إلى رأس بواك محمي على أحسن وجه من الرياح الغربية وحتى الشمالية حيث كان يوجد في موقع مماثل وملائم لإرساء السفن[3].

ومرسى مدينة بجاية أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مأمون مشتى قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس ثم مرسى بونة مرسى مأمون ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل وعلى هذا المرسى في تلك الجبال قبائل كتامة وجزيرة جوبة قبل مرسى بجاية ثم يلي مرسى بجاية مرسى سبيبة[4].

وكذلك كان يعتبر مرسى بجاية المأمون من الرياح فقد كان في العصر الحمادي أعظم ميناء بعد الإسكندرية على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط وخاصة أنه كانت السفن التجارية تقصده من أوروبا ومن الشرق العربي بل وحتى من بلاد الصين والهند لتحمل من بجاية وإليها مختلف أنواع البضائع[5] وإلى جانب ذلك كان يحط

1- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 66.

2- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص391.

3- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص412.

4- أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص82.

5- اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص190.

فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرق بلاد مصر واليمن وبفضل ذلك المرسى كان أهل بجاية يجالسون كل من تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق[1].

بإضافة إلى أنه كان بين بونة وبجاية نجد وبجاية المراسي التالية: مرسى الخروبة ومرسى ابن الأبيري ورأس الحمراء، ومرسى تكوش، ومرسى اللروم، ومرسى أستورة، وتاسقدة (سكيكدة)، والقل، وجيجل، وجزائر العافية، وحصن المنصورة، ومرسى سبيبة، وبجاية.

وأما بالنسبة للمراسي الموجودة بين بجاية، وتنس تدلس مرسى الدجاج تامتنفوست الجزائر، مرسى جنابية، مرسى الذبان، مرسى هور، مرسى البطال، شرشال، برشك، تنس[2].

كان مرسى الخرز يحتوي على معدن المرجان ومرسى الخرز يعتبر قرية غير أنها نبيلة لمكان المرجان ولا يوجد من البحار له نظير في الجودة إذ لا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الخرز[3] حيث كان التجار يقصدونه لاستخراج منه الكثير وهي تنبت كالشجر في البحر يباع بالأموال الطائلة[4].

وأيضا المرجان هو عبارة عن شجر في البحر مستحجر يخرج أبيض اللون لينا فإذا ضربه الهواء أحمر وصلب وتتمثل طريقة استخراج المرجان من مرسى الخرز هو أن العمال يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد افوا عليها شيئا من الكتان المحلول وربطوا في كل صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ويديرا النواتي القارب فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه فمنهم من يخرج عشرة آلاف درهم إلى عشرة دراهم ثم يحلى في

1- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص58.

2- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص63.

3- أبو القاسم النصيبي، المصدر السابق، ص76.

4- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص69.

أسواق لهم ويباع جزافا رخيصا ولا إشراق له قبل جليه ولا لون[1] ومن الدلائل أيضا الكاشفة عن كيفية صيد المرجان ما أخبرنا به الإدريسي حول مدينة مرسى الخرز (قرب بونة) قائلا: "المرجان يوجد بها كثيرا وهو من أجل جميع المرجان الموجود بسائر الأقطار مثل ما يوجد منه بمدينة سبتة وصقلية ويقصد التجار إلى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات ومعدن هذا المرجان في هذه المدينة مخدوم في كل سنة ويعمل به في كل الأوقات الخمسون قاربا والزائد والناقص في كل قارب العشرون رجلا وما زاد ونقص والمرجان يصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب تدار هذه الآلة في أعلى المراكب فتلتف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان إلى أنفسهم ويستخرجون من الشيء الكبير[2].

واحتلت بجاية بحكم موقعها الاستراتيجي أهمية اقتصادية وتجارية برا وبحرا وخاصة عن طريق البحر حيث كانت تستورد الفواكه والعنب من ميناء جيجل كما كانت تتبادل السلع مع السفن القادمة أمثال سوريا وأوروبا وغيرها وكذلك كانت بجاية قاعدة بحرية للفتوحات اتجاه بلاد الروم حيث لا تبعد عنها صقلية إلا بثلاثة أيام بحرا ولذلك فبجاية لها ميزتان في العهد الإسلامي انفردت بهما ميزة من حيث الموقع وميزة أخرى من حيث تحول النشاط الاقتصادي في اتجاه الطرق البحرية فهي مدينة ساحلية بالدرجة الأولى وميناؤها يعد من أكبر الموانئ بعد ميناء الإسكندرية على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط[3].

وكذلك ميناء بجاية من بين الموانئ التي كانت تستقبل السفن التجارية سواء من بلاد المشرق الاسلامي أو من الدول الأوروبية حيث كانت بذلك المرسى عظيمة تحط فيه السفن من كل جهة وكان ميناء بجاية على العهد

1- اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص265.

2- نوال بلمدني، الثروات البحرية وطرق صيدها بالغرب الاسلامي من خلال الكتابات الوسيطية، مجلة العصور الجديدة، العدد 19-20، جامعة وهران، 1436-1437هـ/2015م، ص ص 100-102.

3- عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص40.

الموحدي من أهم مراكزهم البحرية وخاصة لما دخلها الموحدون أصبحت من بين قواعدهم البحرية الأساسية والتي ساهمت في فرض الهيبة الموحدية في الحوض الغربي للمتوسط[1].

وكانت أيضا في العهد الموحدي قد اتسع مجال المرافئ الاسلامية فنشطت بذلك حركة التجارة بميناء بجاية والتي كان يدخل إليها جون من البحر الشامي (المتوسط) يعثر بالمراكب إليها ولها رفق كثير بمدخل السفن في البحر لاسيما بفضل الأساطيل التجارية التي كانت تصل بينها وبين بلاد الشام وهي تحمل معها الحجاج، والبضائع كما كانت بجاية سوقا أساسيا للبضائع الأوروبية إلى جانب تونس وسبتة فقد سجلت الوثائق اللاتينية تصدير التجار المسيحيين للبجائيين الأقمشة والحبوب وتوابل الشرق والخشب وبعض المعادن في حين احتلت المنتجات الحيوانية (الجلود، والصوف) والعبيد والشمع صدارة المنتجات المستوردة من قبل التجار المسيحيين، وشكل كل من الأندلسيين واليهود والعناصر المقربة من السلطة السياسية أهم الفئات المشكلة لجماعات التجار البجائيين في حين سيطر تجار المدن الإيطالية (بيزا، جنوة، والبندقية) ومرسيليا والمدن الإسبانية على تجارتها البحرية وبذلك عاشت بجاية حسب Dominique valérien في القرنين الثاني عشر والثالث عشر فترتها الذهبية في التجارة البحرية[2].

المبحث الثاني: العلاقات التجارية لبجاية

1- التجارة الداخلية:

كانت داخل بلاد الحمادية تجارة نشيطة حيث كانت تتناقل داخليا وخارجيا في كل من قسنطينة والمسيلة وغيرها وقامت أسواق عامرة حيث بعض المدن كانت تتوفر على طرق المواصلات متنوعة وكثيرة والتي تساعد على

1- توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ج2، ص435.

2- توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ج1، ص ص 263-264.

إحداث تكامل اقتصادي داخلي للدولة وهي تتبادل فيما بينها منتجاتها المختلفة فالإدريسي يذكر ان بجاية كان "يجلب إليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة والقطران" وأن سمك المسيلة يصطاد منها ويحمل إلى قلعة بني حماد وهكذا استطاعت الدولة الحمادية أن توفر حياة تمتاز بالسهولة والهدوء والرخاء وتتوفر للإنسان فيها حاجياته الكمالية فضلا عن الضروريات الاقتصادية الأولية ويبدو أن المعاملات الاقتصادية كانت تتمتع بكثير من الحرية، ولا تفرض عليها قيود إلا في حدود الواجبات التي تفرضها الشريعة الاسلامية وفق مذهب الإمام مالك الذي كان من الناحية العملية المذهب الذي يحتكم إليه الأفراد، والمجتمع وفي حدود الضرائب الجمركية التي من شأنها أن تمنح قدرا من الحماية للمنتجات المحلية أمام منافسة البضائع الوافدة[1].

2- الأسواق:

كانت البضائع تباع في أسواق المدن، والقرى حيث كان ببجاية خمسة أسواق وهي: سوق الصوف، سوق القيصرية، سوق باب البحر، وسوق يقع قرب حومة المذبح وبه القراصنة الحماديون يبيعون إسراءهم وسويقة ذكر المراكشي فقال: "إن عبد المؤمن مر في طريقه راجعا من إفريقية ببجاية فدخل البلد متنزها فيه فمر بسويقة بناحية باب من أبوابها يسمى باب تاطنت".

وبجانب أسواق بجاية هناك أسواق أخرى موجودة في عدة مدن وقرى مثل بونة وباغاية وميلة وسطيف، والغدير، وقاديس، وتهوذة[2]، ومجانة[3]، والمسيلة، وغيرها إذ كانت هذه الأسواق داخل المدن أو خارجها[4]وبالنسبة

1- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 227-228.

2- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص66.

3- مجانة هي مدينة تعرف بمجانة المطاحن لأن بها معدنا لقطع الأرحاء ليس على الأرض مثله وهي مدينة قديمة أزلية ذات مياه وعيون، ينظر: مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، المصدر السابق، ص161.

4- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص66.

للقرى فكانت الأسواق تعقد في يوم معين حتى بعض القرى أخذت اسم سوق متبوع باليوم الذي يعقد فيه مثلا: سوق الأحد، وسوق الإثنين، وسوق الخميس على الطريق التي تؤدي من بجاية إلى قلعة بني حماد[1].

وكان كذلك بمدينة قسنطينة الأسواق، والتجار، وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة ومعاملات مع العرب وبالنسبة لمدينة المسيلة كانت عامرة بالناس والتجار[2].

3- العلاقات التجارية لبجاية على العهد الحمادي:

أ. العلاقات التجارية مع المشرق العربي:

لقد كان لقدوم جيش مغربي إلى مصر مع **المعز لدين الله الفاطمي** أثر كبير في فتح نوافذ علاقات تجارية مع المشرق العربي ومصر بالذات فقد توافد على مصر عدد كبير من البربر أقاموا في الإسكندرية وما حولها ثم كان للطرق البرية التي أصبحت منتظمة وواضحة منذ رحلة المعز إلى مصر أثر في تسهيل العمليات التجارية وخاصة أنه قد منح الأمن الذي توفر للمجتمع الحمادي فرصة لازدهار الزراعة وبعض ألوان الصناعة حيث كان للعلاقات التجارية مع المشرق أيضا أثرها في إدخال بعض النباتات الشرقية كالقطن، وقصب السكر، والزعفران، والتي أصبحت أدوات تجارية فيما بعد[3] وفي ناحية بونة كانوا يصدرون المرجان للفاطميين[4]وكذلك أن علاقة الفاطميين التجارية مع الحماديين لم تنقطع بل أنها ازدهرت على حساب أبناء عمومتهم الزيريين نتيجة توطيدهم علاقتهم مع الفاطميين وإبقائهم على العملة تابعة لهم إلى آخر عهد يحي آخر أمرائهم على عكس الزيريين الذين ضربوا العملة

1- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص150.

2- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص67.

3- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 227.

4- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 149.

باسمهم وحوم الفاطميون تداول عملتهم فكان هذا لحساب الحماديين في التجارة المغربية المشرقية وقد كانت طرق المواصلات البرية التي تربط بين المغرب ومصر كانت موجودة، ومعروفة كذلك وهو الطريق الساحلي وهو أكثر أمنا وراحة للقوافل وطريق الجنوبي الطريق الساحلي، والذي يبدأ من الفسطاط ويتجه غربا إلى القيروان والسوس وطريق يمر بالواحات الداخلية ويتجه إلى السوادن الغربي متجها إلى غانة ثم يعدل عنه سجلماسة[1]لكن بالرغم من ذلك فإنه كانت التجارة بين المغرب الأوسط ومصر تمر عن طريق البحر بين بجاية والإسكندرية، وخاصة أن طريق البركان كان غير مأمون بعد الزحف الهلالي[2]

لكن لم يقف النشاط التجاري الحمادي بل كانت لديهم علاقات تجارية مع كل من العراق والحجاز، والشام، واليمن[3].

ب. العلاقات التجارية مع بلاد الأندلس:

كانت المدن الحمادية الساحلية تضم أعدادا كثيرة من المهاجرين الأندلسيين، والذين نقلوا إليها خبرتهم وعلومهم واندمجوا في المجتمع اندماجا تاما وخاصة نتيجة للظروف السياسية الأندلسية والحمادية التي سادت أيام الدولة الحمادية إذ كانت العلاقة بين الأندلس وبني حماد علاقة اقتصادية[4]وإلى جانب ذلك فإنه كانت العلاقة حسنة بينهم وخاصة أن التجار الأندلسيون كان يقيمون في موانئ الجزائر ومنها بجاية قبل تمصيرها من طرف الناصر خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي[5]

وعلى هذا الأساس يتضح ذلك من خلال مقال الأستاذ **كريستيان كورتوا** الخاص بالعلاقات المغربية الأندلسية:

1- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 230.

2- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص149.

3- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 150.

4- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 185.

5- مختار حساني، المرجع السابق، ج5، ص 67.

أولا: في القرن الحادي عشر ميلادي بعدما أصبح مرسى الخرز قاعدة للقراصنة استقر التجار الأندلسيون ببجاية، ومرسى الدجاج وتكاثرت العلاقات التجارية بين المراسي الحمادية الواقعة بين الجزائر، وشرشال، والمراسي الأندلسية الواقعة بين قرطاجنة، ومصب نهر إيبر.

ثانيا: وفي القرن الثاني عشر ميلادي تفوقت بجاية على الجزائر وأصبحت القاعدة الرئيسية للتجارة الحمادية الأندلسية[1].

ج. العلاقات التجارية مع الدول المسيحية:

لقد عقدت الدول البحرية الأوروبية مع حكام بجاية معاهدات تجارية، وقنصلية دقيقة وقد كانت إيطاليا بمدنها المختلفة أبرز الدول الأوروبية البحرية التي أقام الحماديون معها علاقات تجارية واسعة النطاق[2]وإلى جانب ذلك أنها تستجلب من إيطاليا أسلاك الحديد والأبواق النحاسية، والأواني المصنوعة من مختلف المعادن، وكذلك كانت قصور الملوك، والطبقة الثرية تستورد من أوروبا الأحجار الكريمة، والعقيق، والياقوت، والمرجان المصنوع، ومختلف أنواع المجوهرات[3].

وأما بالنسبة للاتفاقيات التي عقدت بين المغاربة والمسيحيين والتي تنص على منع بيع الأسرى وتوجب إعادتهم إلى بلادهم بمجرد ما تعرف جنسياتهم هي إنما عقدت في القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري لكن لم يكن مضمونها معروفا في عهد بني حماد.

1- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص ص ص150-151.

2- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 230-231.

3- اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص 246.

وفي مقابل المنتجات التي يتلقاها المغرب الاوسط كانت هذه البلاد تصدر كثيرا من الخيول العربية وحتى البربرية، والسمك المقدد، الجلود المدبوغة، والمصبوغة، وكذلك المواد التي تستعمل للدباغة مثل القشور المعروفة بالقشور البجائية، ونحن نعرف الشهرة الواسعة التي كان يتمتع بها الجلد المغربي المصبوغ في أوربا في العصور الوسطى حيث أن أوروبا لم تكن تعرف صناعة أنواع من الجلد إلا في القرن الرابع عشر الميلادي وقد كانت صناعة الجلود في بجاية والتي تشمل جلود عدد من الحيوانات المتمثلة في البقر والغنم والمعز والخيل والجمال وهذا يدل أيضا على وفرة هذه الحيوانات وكذلك وفرة مادة الشمع في إفريقية الشمالية، والمغرب الأوسط خصوصا الشيء المعروف منذ العصور القديمة[1] وقد كانت بلاد المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط، وإفريقية ولاسيما مدينة بونة ومدينة بجاية هي التي تمد أوربا في العصور الوسطى بكثير من حاجاتها من هذه المادة ويكفي أن نذكر أن بجاية هي التي منحت اسمها الفرنسي لمادة الشمع لكي ندرك إلى أية درجة كانت أوربا تعتمد على هذا البلد الحصول على الشمع لاستضاءة، ولغير ذلك من الأغراض.

وأما زيت الزيتون الذي لا يزال إلى اليوم من أهم عناصر الثروة المغربية فقد كان كذلك منذ عهد الرومان حيث كان زيت بلاد القبائل الصغرى (منطقة بجاية) يتمتع بالشهرة واسعة في العصور الوسطى وأما بالنسبة لانتاج القمح، والشعير، وغيرهما من الحبوب تمثلت الاتفاقيات التجارية التي عقدت بين حكام المغرب، والبندقيين، والجنويين في أوائل القرن الثالث عشر لا تدع مجالا للشك في أهمية التجارة في هذه المواد بين هذه البلاد وشواطئ أوربا، وهي بدون شك تمثل استمرارا لتيار متواصل حيث كان أيضا الزيت الجيد الذي كان يحمل من بجاية، وبونة لا يزال يحتفظ باسمه العربي في اللغة الإيطالية إلى اليوم[2].

1- نفسه، ص 247.

2- اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص248.

وإلى جانب ذلك كانت زراعة القطن كثيرة الانتشار حيث كانت مناطق المسيلة وبسكرة مشهورة بجودة انواع القطن التي تنتجها وكذلك كان القطن يزرع في طبنة، وقد ظل القطن يعتبر من المحصولات الرئيسية في المغرب حتى القرن السادس عشر وكانت بجاية تصدر كميات كبيرة من الصوف إلى فرنسا وإيطاليا مما يدل على أهمية تربية المواشي في هذه المنطقة، وكان أيضا ريش النعام والمرجان الذي كان يستخرج من تنس، ومرسى الحرز مما يحمل إلى أوربا بكميات وافرة[1].

أما في العهد الموحدي كانت العلاقات التجارية بين الجمهوريات الإيطالية وسواحل المغرب الأوسط فإن تجارة المدن الإيطالية لم تكن معروفة قبل منتصف القرن 12 م وأقدم شهادة كتابية عن ذلك تعود إلى سنة 538هـ/1143م وذلك عندما تم تسجيل ميناء بجاية ضمن الموانئ المقصودة من طرف التجار الجنويين.

4- العلاقات التجارية لبجاية مع الدول المسيحية على العهد الموحدي:

وبعد استقرار الأوضاع السياسية بالمغرب للدولة الموحدية وضمها لإقليم الأندلس عاد انتظام التجارة وزادت قوة وازدهار وصار الموحدين أسطولا في البحر المتوسط يحمى طرق القوافل البحرية ويدافع على الموانئ الإسلامية التي كانت تستقبل السفن الأجنبية المحملة بالبضائع المختلفة وتعود ببضائع المغرب المتنوعة وكانت لجمهورية **جنوة** والتي لعبت الدور الوسيط في تجارة المغرب الأسبقية في عقد المعاهدات التجارية مع الموحدين فمنذ 547-548هـ/1153م أبرمت أول اتفاقية بين جنوة والخليفة عبد المؤمن ويبدوا أن هذه المعاهد التي لم يرد نصها في المصادر كانت شفوية لكن شهرتها لدى الأساطيل الموحدية، وسائر الموانئ المتوسطية دلت عليها فقد عدلت قطعا للأسطول الموحدي من مهاجمة سفينة آتية من الإسكندرية محملة بالبضائع الثمينة بعد أن عرفت جنسيتها بأنها جنوية.

1- نفسه، ص ص 248-249.

بإضافة إلى أن جنوة أحد المدن الإيطالية أرسلت مبعوثها الخاص المسمى **توبون** لتجديد الاتفاقيات مع الموحدين فأبرم معهم عقدا يضمن لجنوة حرية التجارة في جميع بلاد الموحدين ومياههم لمدة خمس وعشرين سنة هذا فضلا على أنها حددت قيمة الضرائب التي تجبى على تجارة الجنويين في شمال إفريقيا بمقدار 8% من ثمنها لكن استثنت من ذلك ميناء بجاية[1].

والذي يجب أن تكون الضريبة فيه 10% حسب ما نصت عليه اتفاقية سابقة 546هـ/1052م التي إن لم تكن على يد عبد المؤمن نفسه بعد استيلائه على مدينة بجاية وربما تعود إلى عهد بني حماد أما العلاقات التجارية مع **بيزة** في عهد الخليفة **يعقوب المنصور** تمكن البيزيون من الحصول على مرسوم من الحكومة الموحدية بتاريخ 582هـ/1186م بمثابة عقد للسلام والتجارة لمدة خمسة وعشرين سنة، وقد حدد المراسي التي يباح لهم الوقوف فيها ومن بينها بجاية مع الإذن لهم في التموين، وإصلاح سفنهم الشراعية بميناء المرية وإذا اضطرتهم ظروف البحر إلى الاحتماء بسفنهم في غير ذلك من المدن الخاضعة للموحدين في الأندلس، وشمال إفريقيا فلا يبيعون فيها أو يشترون بل حرم عليهم مجرد الكلام مع أحد أهاليها ومتى تعدى أحد منهم هذا يباح دمه وماله لأجله هذا الأمر العزيز لا ذمة تمنعه ولا عهد بتعديه بحجزه.

ولقد عرفت جلود المغرب، وجلود قرطبة شهرة في الأسواق الأوروبية حيث كانت السفن المدن الإيطالية والأوروبية تستوردها خاصة من بجاية، وقد عرفت هذه الجلود الحمراء منذ القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي قبل ذلك ارتفاعا كبيرا في الطلب عليها في أوربا خاصة في إقليم نورماندي وفي إنجلترا وكان الزيتون أيضا من أهم البضائع التي تنقلها السفن إلى المدن الإيطالية وأوروبا عموما من إقليم اشبيلية بالأندلس كما مر وكانت

1- توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ج1، ص ص 294-300.

بجاية وغيرها من أهم مصادر هذه المادة لما اشتهرت به من أشجار الزيتون وصدرت أيضا بجاية إلى أوروبا ريش النعام والشمع الذي اشتهرت به[1].

وأما بالنسبة للمعادن وخاصة النحاس فكان من السلع التي تستوردها البلاد الإيطالية ولاسيما جنوة وكذلك الحديد كان يستغل بمنجم بنواحي بجاية منذ القرن الحادي عشر الميلادي.

والمعادن الثمينة فأهمها النحاس، والحديد، والفضة، والذهب، وكذلك العملات النقدية ورغم ما عرفته دور السكة بالمغرب، وتونس، وبجاية، وغيرها من نمو فقد وقع آل ما نديل بمرسيليا فيما بين (1242-1246م) عشرين عقدا يبيعون بمقتضاها لبجاية، وسبتة، ووهران، وتلمسان وقطعا من النقد العربي ضربت في مونبليه علاوة على ذلك كانت ترسل البلاد المغربية الأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد واللؤلؤ المرجان والزجاج إلى البندقية وغير ذلك وكذلك بعض المواد التي تدخل في صناعة الأدوية مثل صمغ الشجر، والكافور، والمصطكي الذي كان يجلب من الجزر الرومانية في بحر إيجه[2].

بإضافة إلى الرقيق الأبيض من الصقالبة، وإفرنج جليقية وقطلونية والذي كان يجلب إلى المغرب وقد ذكر السقطي أن بعض حكام الأندلس كان كثير التجارة والجلب للخدم الروميات وتضيف كتب الحسبة أيضا شروط تجارة الرقيق وبأن لا يمارس سمسرة العبيد، والجواري إلا من تثبت أمانته وعفته وألا يفرق بين الجارية وولدها وغير ذلك مما بين أن تجارة الرقيق من أوربا وغيرها والتي كانت رائجة في هذه الفترة بحيث كان لكل مدينة من القرن السادس هجري 12 من سوقا خاصة لبيع الرقيق وكان التعامل فيها هاما، وكانت مواردها منظمة على يد السماسرة الذين يجلبون الرقيق من أوروبا المسيحية ومن إفريقيا حيث كان من المحتسب المسلم يجد مجالا كبيرا للرقابة وقد كان لتجار الرقيق هذه وللحيل المعقدة أحيانا التي كان يلجأ إليها النخاسون لكي يغيروا لون العبيد أو

1- توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ج1، ص ص 300-310.

2- نفسه، ص ص 314-315.

لإخفاء عيوبهم وهم بذلك يستبيحون ما منعه الشرع ولعل الكثير من الرقيق الرومي كان يأتي إلى السواحل المغربية عن طريق الغزو والقرصنة حيث كانت بجاية من أهم الموانئ بيع الرقيق الأبيض[1].

5- العلاقات التجارية لبجاية مع الدول المسيحية على العهد الحفصي:

كانت التجارة مع الدول النصرانية مزدهرة، مثمرة حيث كانت الحركة التجارية البحرية في بجاية أشد كثافة من نفس الحركة في الجمهوريات الإيطالية التجارية بل ربما استفادت تلك الحركة من المعارك التي نشبت في سنة 1241م بين جنوة، وبيزة وعرقلت شيئا من النشاط البحري هذا وإن اختطاف إحدى السفن الجنوية التي كانت متوجهة من إسبانيا إلى تونس سنة 1245م قد أثار رد فعل سريع من قبل أهل المراكب التابعة لأعدائهم وامتدت الحرب بين الدولتين المذكورتين إلى رعاياهم المقيمين في شمال إفريقيا وقد كانوا يحاولون إلى حد ذلك التاريخ التزام الحياد في ذلك النزاع ولاشك أن هذه الظروف تفسر لماذا لم يتم في حياة **أبي زكريا** تجديد المعاهدة الحفصية المبرمة مع حكومة جنوة بعد انقضاء مدتها سنة 1246م إذ لم يكن الأمير يبدي تجاهها أي استعداد طيب في حين كان يصغي في العادة بأكثر اهتمام إلى خصومهم في بيزة[2] وصقلية[3].

لكن استأنفت الجمهوريات التجارية الإيطالية الكبرى الثلاث (**بيزة وجنوة والبندقية**) هي الاخرى نشاطها من ذلك أن أهالي بيزة الذين كانوا قد غادروا بجاية خوفا من غضب السكان المسلمين وقد رجعوا إليها منذ ربيع سنة 1271م حيث كانوا النصارى الوحيدين تقريبا الموجودين بتلك المدينة آنذاك وإلى جانب ذلك كان النصارى يواصلون نشاطهم في الموانئ حيث تمثلت بوجود وثيقة مؤرخة في سنة 1298م تخبرنا بمواصلة التجار المرسيليين في

1- توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ج1، ص 310.

2- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص ص 64-65.

3- صقلية هي من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية وأخرى مسيرة سبعة أيام، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص416.

بجاية كما أن الوثائق المحررة لدى العدول والمحفوظة في مدينة بالرموا قد احتفظت بالنسبة إلى سنتي 1298م/1299م بآثار عدة عمليات تجارية تهم صقلية من جهة وبجاية من جهة أخرى[1].

الصادرات والواردات:

1. **الصادرات:**

شكلت منطقة بجاية ما بين القرنين 6هـ-8هـ/12م-14م منطقة استقطاب لمعظم تجار قبائل زواوة واعتبرت باديتها خزان اقتصادي تمون أسواق المدينة بمختلف المنتجات الزراعية وحتى الصناعية ومن بين ما تصدر تتمثل فيما يلي: الزيت، الزيتون، التين، العسل، جلود الحيوانات، ومن المواد الصناعية نجد: الخشب، ومادتي الزيت، القطران، ومواد الصباغة التي تصدر عبر مينائها إلى أقاصي البلدان والأمصار[2]ومن بين الصادرات أيضا والمتمثلة في الحبوب المختلفة وكذلك الثروة الحيوانية وصناعة المعادن وهي الحديد، والزئبق، والنحاس، وكذا المرجان الذي يستخرج من مرسى الخرز والصناعات الحرفية كمصنوعات النجارة، والخراطة، والحدادة، والحياكة التي كانت في أرقى منازلها[3]وكانت تصدر أيضا بالدرجة الأولى نحو الخارج الخيول العربية، والبربرية، وقشور الدباغة، والبقول الجافة، والفستق، والقطن، والشمع، وريش النعام[4].

2. **الواردات:**

وأما بالنسبة للواردات والتي أدت إلى ازدهار الحركة التجارية بين بجاية، وبلاد السودان عبر المسلك الجنوبي إذ يأتيها الجلود المفضلة من غدامس، والعبيد، والذهب من مدينة كاغور ومملكة بورنو وأحيانا يبادلون الخيول البربرية

1- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص ص 215-216.

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص200.

3- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 228-229.

4- محمد شريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، المرجع السابق، ص54.

بالعبيد السود فيأخذون عن كل فرس بربري خمس عشر او عشرين عبدلوقدر مبلغ كل فرس ما بين أربعين وخمسين مثقالا من الذهب وعلى هذا قد حقق بذلك هؤلاء التجار ثروات طائلة جراء هذه العملية حيث كان التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة فتجد السلع ببلاد السودان قليلة فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع إليهم الغنى والثروة إذ تبدوا أهمية البضائع القادمة من بلاد السودان، والصحراء عموما لكثرة الطلب المتزايد عليها من قبل التجار الأوربيين، وحتى الأندلسيين من جنوب إيطاليا، وفرنسا، وغرناطة، وجزر البليار الذين كانوا يفضلون الاستقرار في فنادق المدينة لأجل هذا الغرض[1].

حيث من أهم السلع التي يقتنيها الأوربيين من أسواق بجاية تتمثل فيما يلي: العبيد إذا كانت تباع بيضاوان اللواتي يؤتى بهن من أوربا الشرقية، والجزر الرومانية بواحدة من الوحش هذا إلى جانب معدن الذهب، والصوف، وفروة الجلود ومواد الدباغة[2].

ولقد تنوعت واردات بجاية وذلك حسب احتياجات المجتمع البجائي فكثيرا ما استورد البجائيون من أوربا وعبر الجمهوريات الإيطالية الأسلحة والمتمثلة في: الدروع، الحراب، وحتى العقاقير التي كانت تأتي من أقصى الشرق، والخشب، والورق، وغيرها[3].

ونظرا لتنوع مجمل عدد الصادرات، والواردات ببجاية جعل منها مظهر من مظاهر التطور والثراء الاقتصادي مما انعكس نفعه على معظم شرائح المجتمع إلى جانب سكان القبائل المحيطة بها وخاصة منطقة زواوة التي وجدت في أسواق المدينة فضاء للترويج لمنتجاتها الزراعية وحتى الصناعية (الحرفية منها) وفي نفس الوقت أمنت كل ما تحتاج إليه من السلع الوافدة إلى المدينة[4].

1- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص201.

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص201.

3- محمد شريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، المرجع السابق، ص55.

4- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص201.

استخلصنا من خلال هذه الدراسة مجموعة من الاستنتاجات الخاصة بدراسة الأهمية الاقتصادية لبجاية على العصر الوسيط وعلى هذا الأساس توصلنا إلى جملة من النتائج القيمة وهي:

- تبين أنه من خلال دراستنا لهذا البحث أن بجاية تمتعت بأهمية الموقع الجغرافي حيث ساعد هذا الأخير بشكل كبير بأن تحتل مكانة لائقة بين مختلف الحواضر التي معها في نفس الفترة الزمنية.
- وقد طرحنا كذلك بإبراز نشأة بجاية وخاصة أنها قد تعاقبت عليها العديد من الدول أمثال الدولة الحمادية والموحدية وحتى الحفصية حيث في ظلهم بلغت ذروتها الاقتصادية.
- وعند حديثنا عن الأهمية الاقتصادية لها لابد من التطرق لأهمية الفلاحة بها حيث حرص حكامها أو بالأحرى أمرائها على الاهتمام بالتنويع في هذا المجال الحيوي حيث قاموا بإصدار مجموعة من القوانين التي من خلالها يتمكن الإنسان البجائي بإيجاد سهولة في تسييرها وخاصة في العهد الحمادي كانت تتمتع بموقع ومناخ وحتى الغطاء النباتي وهذا ما أدى بهم إلى التنوع في عدد المحاصيل الزراعية حيث احتلت المكانة الأولى في الحبوب إذ كان يعتبر المادة الاساسية لسكانها إذ يتمثل في قمح وشعير وذرة وحنطة وغيرها مما أدت إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي حيث منها من كان يصدر إلى الخارج.
- وركزت أيضا على زراعة الزيتون وخاصة هو الآخر كان يعتبر من بين الزراعات الرئيسية والذي من خلاله تمكنوا من تحصيل مختلف انواع الزيوت زمنها زيت الزيتون الذي كان يعتبر سيد المائدة البجائية دون أن ننسى أن هذه المادة كانت تسوق إلى المدن المجاورة كذلك.
- وتوفرت أيضا على مختلف أنواع الخضراوات والفواكه نظرا لأنها كانت تتوفر على الأشجار المثمرة.
- وكذلك احتوت على النباتات الطبية إذ كانت تستعمل في صناعة الطب وكذلك بعض النباتات النسيجية والمتمثلة أساسا في مادة القطن ونباتات مختلفة مثل زعفران وغيرها التي كانت منتشرة في كل من مجانة والنيل المزروع بالغدير.

- وعرفت كذلك العديد من الغابات المختلفة والمتعلقة أساسا بأشجار الصنوبر والفلين إذ كانوا يستخرجون من الأشجار مسحوق الصباغة وغيرها.
- أما بالنسبة لتربية المواشي فإنها هي الأخرى لاقت اهتمام كبير من طرفهم وخاصة أنهم كانوا يستعملون بعضها كالماعز لإنتاج الجلود والصوف.
- ومن خلال دراستنا تمكنا من التطرق إلى بعض المهن والمتمثلة في صيادة كل من السمك والمرجان حيث كان بها أنواع من الأسماك البحرية على اختلاف انواعها وكذا المرجان الذي كان يستخرج من مرسى الخرز وهذا النبات لقي إقبال كبير من طرف التجار نظرا لأهميته البالغة والذي ساهم برواج تجارها وحتى الخارجية منها.
- ولاحظنا كذلك من خلال هذه الدراسة أن البجائيون اهتموا بالمجال الصناعي والحرفي والذي عرف اهتماما كبيرا من طرف الدولة إذ يعتبر النشاط الثاني بعد الفلاحة.
- وعلى رأس هذه الصناعات نجد الصناعة المعدنية وخاصة أنها كانت تتوفر على مادة الحديد في كل من بونة وبجاية ويوجد الملح ببسكرة والذي كان يستعمل في أطعمتهم.
- ولاقت أيضا صناعة الخشب اهمية بالغة إذ كانوا يستخدمونه في صناعة الأواني المنزلية المختلفة الأحجام والأشكال وبفضل هذا الخشب تمكنوا من صناعة السفن خاصة على العهد الموحدي فبفضل هذه الصناعة استطاعوا التنقل في البحار والوصول إلى مختلف الأمصار وساعدتهم كذلك رواج تجارتهم المختلفة والتي مكان يتم عن طريق البحر.
- وعرفت الصناعة النسيجية نظرا لأن بجاية كانت بها مادة القطن والتي أهلت بنمو هذه الصناعات ومارست الصناعة الجلدية والتي كانت تضع من جلد الماعز والغنم وغيرها.

- وكانوا يهتمون كذلك بالصناعة الفخارية والخزفية إذ كانت تعتبر من بين الصناعات الرائدة بها وخاصة توفرها على مادة الطين والذي ساعدهم بشكل كبير بصناعة الأواني الخاصة بالمطبخ البجائي.
- وكذا صناعة الزجاج والتي ساهمت هي الأخرى بظهور الأواني الزجاجية والمتمثلة في المزهريات وغيرها.
- اشتهرت بجاية بصناعة الشمع والذي كان يستخرج من النحل إذ أنها عرفت رواجا لا مثيل له خاصة أن هذه المادة كانت تستعمل للإضاءة حيث كانت تصدر إلى الخارج حتى أطلق على بجاية اسم الشمعة.
- وإلى جانب مختلف هذه الصناعات فإنها اهتمت بصناعة الورق والوراقة وكذلك الصناعة التجميلية والتي نمت بفضل توفرها على مادة زيت الزيتون.
- اهتمت بجاية أيضا بالمالية والسكة حيث اعتمدت في بادئ الأمر بالعمل بالسكة الفاطمية وخاصة انهم لم تكن لديهم سكة مستقلة بهم إلى غاية عهد آخر أمراء الدولة الحمادية يحي ابن العزيز ومن ثمة رفض هذا الأخير العمل بها وأحدث سكة جديدة ذات الطراز العباسي.
- أما السكة على العهد الموحدي فقد عمل الخليفة عبد المؤمن إلى صنع سكة من الذهب والفضة.
- أما سكتها على العهد الحفصي فإن أمرائها قد عملوا إلى صنع سكة وكانت في معظمها تتشابه مع الدول السابقة لها.
- وعرفت كذلك التجارة والتي كانت تعتبر من بين الأنشطة البارزة بها وخاصة انها كانت لديها مجموعة من الطرق منها البرية والتي كانت تربطها بالمدن الداخلية وحتى الخارجية وتوفرت كذلك على طرق بحرية وهي متمثلة أساس في المراسي والموانئ.
- وبفضل هذه الطرق بنت علاقات تجارية مع الدول القريبة وحتى البعيدة سواء على العهد الحمادي مع كل من المشرق العربي وبلاد الأندلس وحتى بعض الدول المسيحية.

- وأما بالنسبة على العهد الموحدي والحفصي فإنها قد تربطها علاقات تجارية مع الدول المسيحية.
- وكذلك عرفت بجاية في ظل الدولة الحفصية علاقات تجارية مع الدول المسيحية إذ تمثلت بإبرام العديد من المعاهدات.
- ونظرا لكل هذه المعاهدات التجارية التي عرفتها بجاية كللت تبادل السلع وبما يعرف بعملية الاستيراد والتصدير .
- وعلى هذا الأساس فإن بجاية قد عرفت مرحلة من الازدهار والتطور والرقي نحو الأمام من عهد الحماديين حتى العهد الحفصي وهذا ما جعلها تتوج لتكون من اهم الحضارات في بلاد المغرب الإسلامي على العصر الوسيط وبهذه المكانة الجيدة التي حظيت بها أصبحت بجاية منافس مهم خاصة في المجال الاقتصادي فبفضله استطاعت أن ترقى بأزهى العهود آن ذاك.

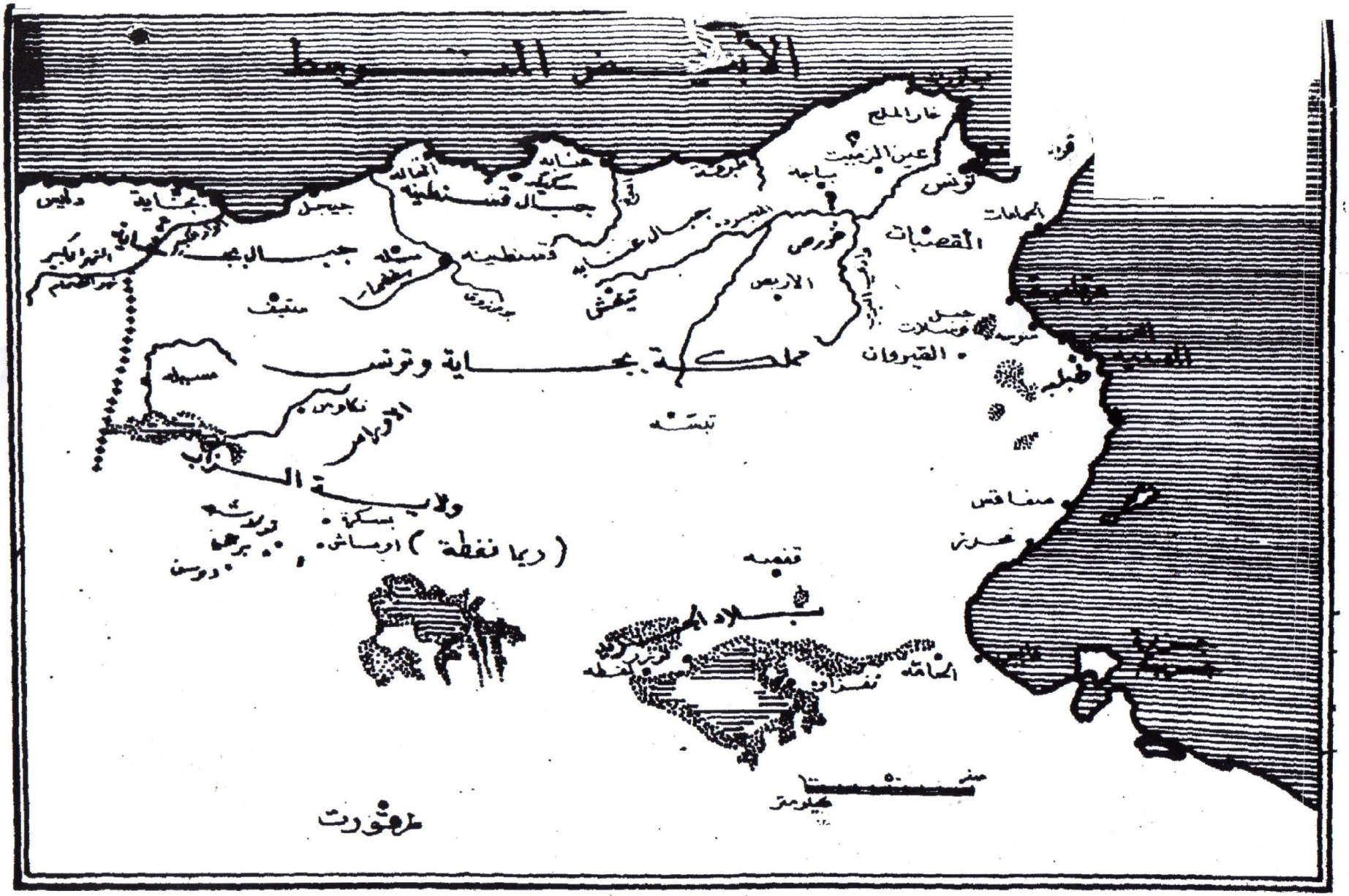

خارطة مملكة بجاية وتونس

ينظر: ابن الوزان الزياتي، المصدر السابق، ج2، ص270

صناعة النحاس الأحمر

ينظر:مؤلف مجهول، بجاية، المرجع السابق، ص25.

مصباح حمادي من الآجر، معاء للبلسم من الزجاج وآنية من القيشاني من عهد بني حماد

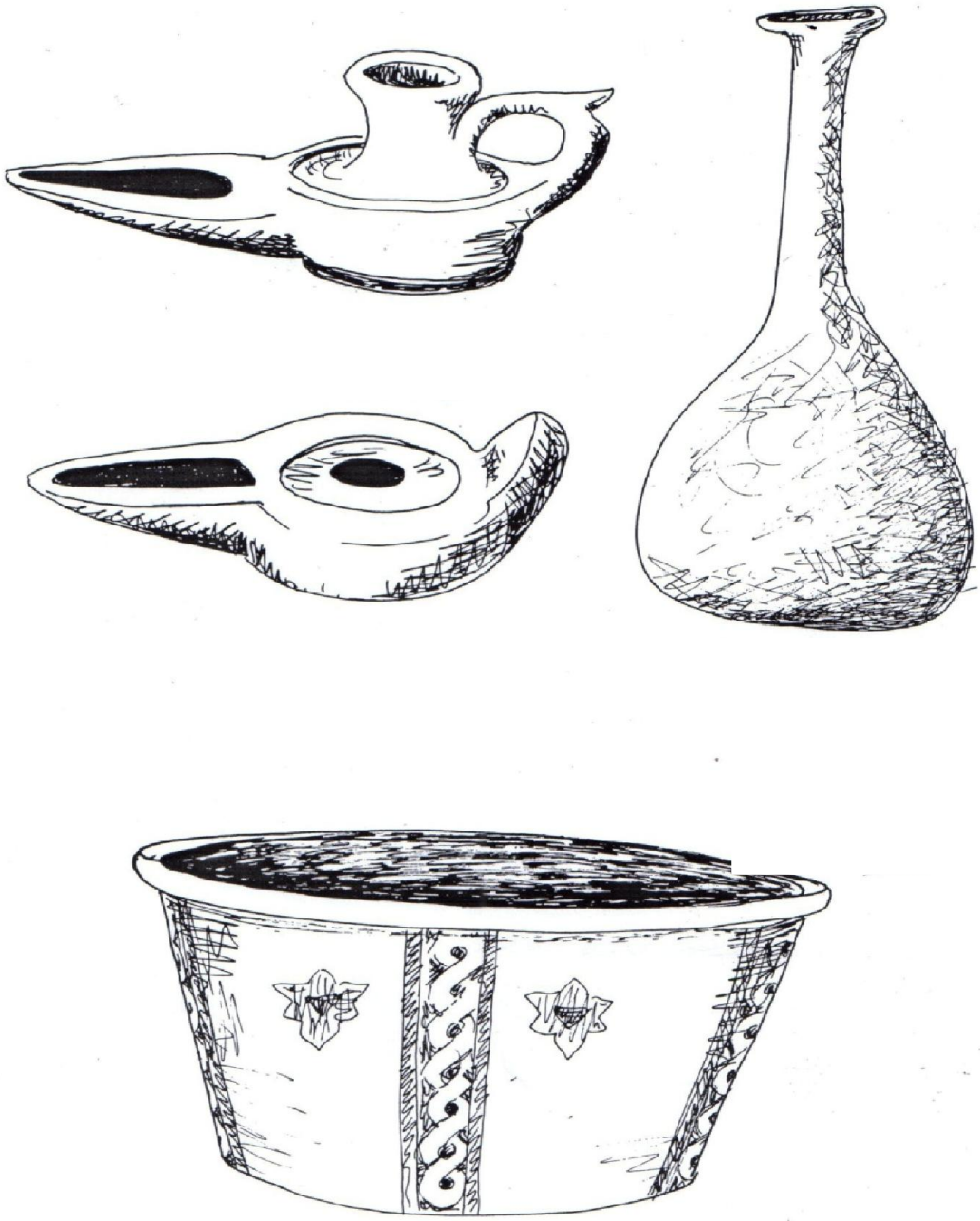

ينظر: مؤلف مجهول، بجاية، المرجع السابق، ص22

إبريق قبائلي حديث

ينظر: مؤلف مجهول، بجاية، المرجع السابق، ص61.

صور حيوانات على قيشاني من عهد الحماديين

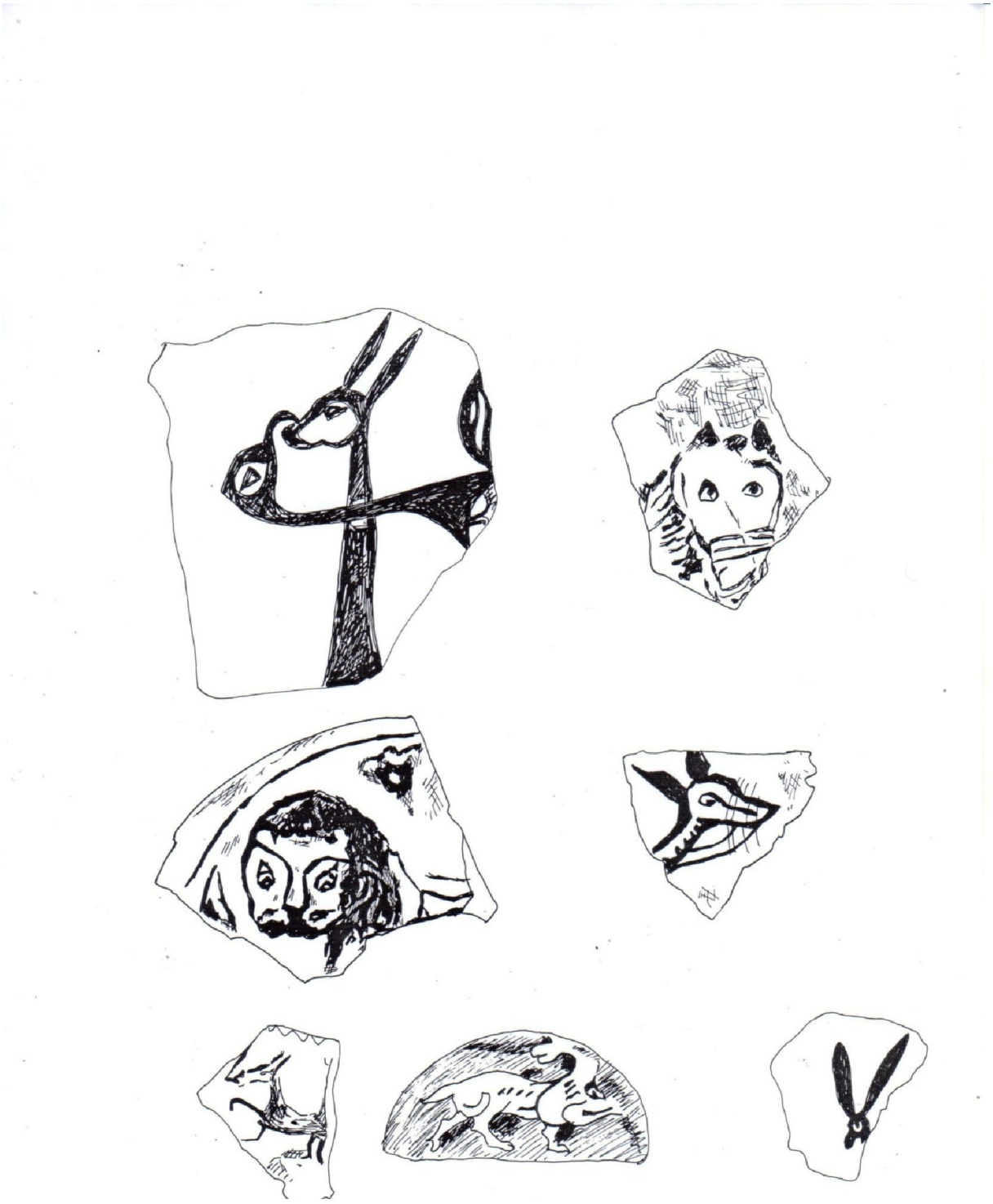

ينظر: مؤلف مجهول، بجاية، المرجع السابق، ص35

أولا: المصادر

1- ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب اعمال الأعلام، تح وتع، أحمد مختار العيادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دط، 1964م.

2- ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1996م

3- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1421هـ/2001م.

4- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1421هـ/2000م.

5- الإدريسي محمد الشريف، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دب، دط، 1863م.

6- الإدريسي محمد الشريف، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه ونشره، هنري بيريس، الجزائر، دط، 1376هـ/1957م.

7- البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت.

8- البلنسي محمد العبدي، الرحلة المغربية، تق، سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، ط1، 1428هـ/2007م.

9- البغدادي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي)، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، دط، 1397هـ/1977م

10- البغدادي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي)، معجم البلدان، ج3، دار صادر، بيروت، دط، دت.

11- البغدادي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي)، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، دط، دت.

12- الزياتي ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، تر، عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، دب، دط، 2005م.

13- الحميري محمد ابن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م

14- المغربي (أبي الحسن على ابن موسى ابن سعيد)، بسط الأرض في الطول والعرض، تح، خوان قرينط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، دط، 1958م.

15- المغربي (أبي الحسن على ابن موسى ابن سعيد)، كتاب الجغرافيا، تح، إسماعيل العربي، منشورات المكتب البخاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،1970م.

16- العمري ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح، إبراهيم صالح، المجمع الثقافي، أبوظبي، دط، 1423هـ/2002م.

17- القلقشندي (أبي العباس أحمد)، صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الحديوية، القاهرة، دط، 1333هـ/1915م.

18- الغبريني (أحمد ابن احمد ابن عبد الله أبو العباس)، عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية 644هـ-714هـ، تح وتع، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.

19- مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتع، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دط، 1985م.

ثانيا: المراجع

1- البروسوي محمد ابن علي الشهير بابن سباهي زاده، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تح، المهدي عيد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، دب، ط1، 1427هـ-2006م.

2- الجيلالي عبد الرحمن ابن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1384هـ-1965م.

3- المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، 1406هـ-1986م.

4- الميلي مبارك ابن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، دار مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دط، 1963م.

5- المنوني محمد، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1397هـ-1977م

6- العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م.

7- العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1980م.

8- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1397هـ-1977م.

9- بن قربة صالح، عبد المؤمن ابن علي موحد بلاد المغرب، الجزائر، دط، 2007م.

10- بن قربة صالح، عبد المؤمن ابن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1991م.

11- بن قربة صالح يوسف، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي دراسة تاريخية وأثرية، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009م

12- بريكة مسعود، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9هـ/13-15م)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2014م.

13- برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية على العهد الحفصي من القرن 13 م إلى نهاية القرن 15م، ج1، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

14- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.

15- جغلول عبد القادر، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، دب، ط1، 1982م.

16- دويب عبد الرحمن، تاريخ المدن، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط خاصة، 2013م.

17- حساني مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2013م.

18- حسن حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخنابجي، مصر، ط1، 1980م.

19- مزاري عبد الصمد توفيق، النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين، ج1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1432هـ-2011م.

20- مزاري عبد الصمد توفيق، النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين، ج2، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1432هـ-2011م.

21- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، مج1، تح علي الزواوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

22- مؤلف مجهول، بجاية، ضمن سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، مطبعة ألتاميرا روتوبريس، مدريد، إسبانيا، دط، 1970م.

23- مؤلف مجهول، تاريخ الأنلس، دراسة وتح، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ-2007م.

24- سيدي موسى محمد الشريف، مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الإجتماعية والفكرية، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2011م.

25- سليماني أحمد، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2007م.

26- عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من الخارج الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1411هـ-1991م.

27- عزوق عبد الكريم، الآثار الإسلامية ببجاية إحصاء وجرد وتحليل، مؤسسة الضحى، الجزائر، ط1، 1434هـ-2013م.

28- علام عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ابن علي، دار المعارف، مصر، دط، دت.

29- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م، ج2، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

30- خطاب محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دب، ط7، 1404هـ-1984م.

31- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين (6هـ-9هـ/12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1- بن قربة صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، بحث لنيل درجة الدكتوراه الدور الثالث في الآثار الإسلامية، إشراف، رشيد بورويبة، جامعة الجزائر، الجزائر، 1982م-1983م.

2- بوتشيش أمينة، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين، بحث لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيطن إشراف، عبدلي لخضر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 1428هـ-1428هـ/2007م-2008م.

3- سيدي موسى محمد الشريف، الحياة الإجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الإحتلال الإسباني (6هـ-10هـ/12م-16م)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، الجزائر، 1430هـ-1431هـ/2009م-2010م.

4- صلاح جلول، تأثير القلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق5هـ-6هـ/11م-12م، بحث لنيل شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف، محمد بوركبة، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ-1436هـ/2014م-2015م.

رابعا: الدوريات والمجلات:

1- نوال بلمدني، الثروات البحرية وطرق صيدها بالغرب الإسلامي من خلال الكتابات الوسيطية، مجلة العصور الجديدة، العدد 19-20، جامعة وهران، 1436هـ-1437هـ/2015م، ص ص 101-102.

خامسا: الموسوعات:

1- زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، أحمد ابن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م.

فهرس الأعلام

– أ –

أبا اسحاق الحفصي ص23

أبا بكر إبن أبي الفتوح ص16

أبا محمد عبد الوهاب ابن أبي حفص ص22

أبا قصبة ص22

أبو زكريا يحي الأول ص 22-23

أبو علي عمر السلمي ص52

أبي سعيد يخلف ص 22

أبي عمران ص 23

إبن البيطار ص 29

ابن اسحاق ابن غانية ص 22

ابن همسك ص 20

ابن تومرت ص 38

أوجست ص 13

الحارث ص 13

المنصور ابن بلكين ابن حماد ص 15-18

المستنصر بالله ص 47

المعز ابن باديس ص 15-36

المعز لدين الله الفاطمي ص 49-62

الناصر ابن علناس ص 16-16-17-18-19

- ج -

جاستينيان ص 14

جورج مارسي ص 39

- ح -

حماد ابن بلكين ص 18

- ي -

يحي ابن العزيز ص 19-21-43-44-45-53

يوبا الثاني ص 13

يوغرطة ص 13

يعقوب المنصور ص 46-66

- ك -

كريستيان كورتوا ص 63

- م -

ماسينيسا ص 13

محمد إبن أبي زكرياء ص 23

محمد ابن البعبع ص 16-17

محمد ابن مردنسيس ص 20

محمد عبد الله الشريف ص 51

- ع -

عبد المؤمن ابن علي ص 20-21-22-25-36-37-46-51-61-66

عبد الله ص 21-22

عبيد الله الشيعي ص 35

عبد الرحمن ابن خلدون ص 43-44

علي باشا ص 12

– ق –

قولفين ص 40

– ت –

تميم ابن المعز ص 16

– غ –

غريغوار الثالث ص 50

فهرس الأماكن

– أ –

إيطاليا الجنوبية ص 42

أيكجان ص 53

الأندلس ص 11-14-17-20-21-34-37-45-46-57-66-67

الإسكندرية ص 49-56-57-62

الأربس ص 52

البندقية ص 51-60

الجزائر ص 15-19-22-31-37-39-58

الهند ص 57

الحجاز ص 63

اليمن ص 57-63

المهدية ص 20-52-56

ألميريا ص45

المغرب ص 06-15-20-21-26-37-44-45-46-49-50-52-62-65-67-68

العراق ص63

الصين ص 57

القاهرة ص 49

القيروان ص 15-16-42-49-52-54-55-62

القل ص 10-26-29-30-55-56-58

القلعة ص 09-15-16-17-18-22-26-34-38-39-40-43-44-49-50

القصرين ص 52-53-55

الشام ص 63

الخضراء ص 26-55

الغدير ص 26-29-55-61

اسبانيا ص 68

إفريقية ص 06-10-14-15-16-20-30-40-41-43-64

أشير ص 52-55

- ب -

باغاية ص 53-55-61

بجاية ص 06-07-08-09-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-
23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-

-61-60-58-57-56-55-54-53-52-51-50-49-48-47-45-44-42-41

71-70-69-67-66-65-64-62

بونة ص 11-14-21-28-29-30-31-35-36-37-38-56-58-61-64-65

بيزا ص 60-69

بنزرت ص 56

بنطيوس ص 27

بسكرة ص 27-35-53-65

- ج -

جزائر بني مزغنان ص 10-21-56

جيجل ص 26-27-28-31-35-55-56-58

جنوة ص 41-51-60-66-69

جرجرة ص 30

- د -

دلس ص 56

- هـ -

هنين ص 37

- ط -

طبنة ص 26-27-28-31-37-53-55-65

طولقة ص 26-27

طرابلس ص 15-36-56

طرطوشة ص 11

- ي -

يلزمة ص 53-55

- ل -

لواتة ص 21

ليبيا ص 20

- م -

مجانة ص 29-35-55-61

ميورقة ص 11-20-22

ميلة ص 61

منورقة ص 20

مسيلة ص 26-31-32-37-52-55-60-61-65

مصر ص 40-49-52-56-57-62

مقرة ص 28

مراكش ص 22-45-52-56

مرسى الدجاج ص 58

مرسى الخرز ص 11-32-36-56-65-70

مرسيليا ص 11-51-60

متيجة ص 28

- س -

سبيبة ص 15-16-33-55

سبتة ص 21-32-56-60-67

سجلماسة ص 46-52-62

سوسة ص 56

سوريا ص 40

سطيف ص 11-26-27-52-53-55-61

سيرتا ص 50

سلا ص 21

سردانية ص 11

– ع –

عنابة ص 37

– ف –

فاس ص 45-50-52

– ص –

صبرة ص 41

صنهاجة ص 14-15-16-17-20-21-22

صفاقص ص 56

صقلية ص 21-32-42-50-69

– ق –

قابس ص 56

قالمة ص 53-55

قسنطينة ص 10-21-26-39-52-53-55-57-60-61

قرطجنة ص 12-13

- ت -

تبسة ص 53

تدلس ص 14

تونس ص 15-16-17-20-22-23-34-37-42-56-60-67-68

تيفاش ص 53

تنس ص 27-54-58-65

- غ -

غرناطة ص 45-70

فهرسة الموضوعات

الإهداء

الشكر والعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ

فصل تمهيدي ..... ص 6

أولا: أهمية الموقع الجغرافي ..... ص 6

ثانيا: بجاية على العهد الفنيقي .....ص 12

ثالثا: بجاية على العهد الروماني والوندالي .....ص 13

رابعا: بجاية على العهد الحمادي .....ص 14

خامسا: بجاية على العهد الموحدي .....ص 19

سادسا: بجاية على العهد الحفصي .....ص 23

الفصل الأول:أهمية الفلاحة والصناعة والحرف والمالية والسكة ص24

المبحث الأول: الفلاحة ص24

المبحث الثاني: الصناعة والحرف.....ص33

المبحث الثالث: المالية والسكة .....ص 42

الفصل الثاني: الأهمية التجارية لبجاية ص49

المبحث الأول: عوامل ازدهار النشاط التجاري وأهم الطرق التجارية ص49

المبحث الثاني: العلاقات التجارية لبجاية ص60

الخاتمة ص72

الملاحق ص76

قائمة المصادر والمراجع ص81

فهرس الأعلام ص88

فهرس الأماكن ص92

فهرس الموضوعات ص99